

الثمر المستطاب
في روائع الآل والأصحاب

عبد العزيز سعود العويد   د. أحمد سيد أحمد علي

فهرسة
مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

عبد العزيز سعود العويد، د. أحمد سيد أحمد علي
الثمر المستطاب في روائع الآل والأصحاب - ط١ .
الكويت: مبرة الآل والأصحاب، ٢٠١١
ص؛ ٢٤ سم .-

ردمك:
رقم الإيداع:

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
مبرة الآل والأصحاب

هاتف: ٢٢٥٦٠٢٠٣ - ٢٢٥٥٢٣٤٠ فاكس: ٢٢٥٦٠٣٤٦
ص. ب: ١٢٤٢١ الشامية الرمز البريدي ٧١٦٥٥ الكويت
E-mail: almabarrh@gmail.com
www.almabarrah.net

الفهرس


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد للَّه وكفى، والصلاة على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد:

فإن لآل بيت النبي ﷺ مكانة عظيمة، ومنزلة سامقة رفيعة، وشرفاً عالياً، وقدراً كبيراً.

لقد حباهم اللَّه هذه المكانة البالغة الشرف، فجعل الصلاة عليهم مقرونة بالصلاة عليه ﷺ في التشهد، وأوجب لهم حقاً في الخمس والفيء، وحرم عليهم الصدقة؛ لأنها أوساخ الناس، فلا تصلح لأمثالهم.

وهم أشراف الأمة الذين ينتسبون لخير نفس سكنت البسيطة، وامتطت رحب الأرض، وكان الدين يجري في مكامنها جريان الدم في العروق، ألا وهي نفس الحبيب محمد رسول اللَّه ﷺ.

وكما أن آل بيت رسول اللَّه ﷺ على الصحيح هم: بنو هاشم من آل علي، وآل عقيل، وآل العباس، وآل جعفر، وبنو المطلب على قول، فكذلك أزواجه من أهل بيته أيضاً أخذاً من قول اللَّه تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(١)] ففي هذه الآية أمر اللَّه أهل البيت بما يوجب طهارتهم، وذهاب الرجس عنهم، وهذه الإرادة المذكورة هي إرادته الشرعية، التي يحبها اللَّه ويرضاها لهم.

حينها.. يكون حرياً بالمؤمن أن يدور مع إرادة اللَّه الشرعية التي يحبها اللَّه، فيحب ما أحب اللَّه، ويبغض ما كرهه اللَّه ولم يرضه لنا.

وقد جاءت السنة منوهة بفضل آل بيت رسول ﷺ، بل ومؤكدة على الوصية بهم، فعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: دعا النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجلَّلهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجللّه بكساء ثم قال: «اللَّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[(٢)].

وروى مسلم من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب اللَّه فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب اللَّه واستمسكوا به، فحثَّ على كتاب اللَّه ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم اللَّه في أهل بيتي، أذكركم اللَّه في أهل بيتي، أذكركم اللَّه في أهل بيتي»[(٣)].

أي اعرفوا حقهم ولاتظلموهم ولا تعتدوا عليهم، وهذا من باب التأكيد على حقهم، وإلا فكل مؤمن له حق على أخيه المسلم، فلا يحق له أن

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٣).
(٢) رواه الترمذي ح(٣٢٠٥) وصححه الشيخ الألباني.
(٣) رواه مسلم: ح(٢٤٠٨). وأصل الحديث في مسلم: ح(٢٤٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

يظلمه ولا يعتدي عليه، لكن لآل النبي ﷺحق زائد على حقوق غيرهم من المسلمين.

دخل العباس على رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه إنا لنخرج فنرى قريشاً تحدث فإذا رأونا سكتوا، فغضب رسول اللّه ﷺ ودرّ عِرْق بين عينيه، ثم قال: «واللّه لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم للّه ولقرابتي»[١].

فهذه وصية رسول اللّه في أهل بيته، وإنها لدالة دلالة واضحة على وجوب محبتهم وتوقيرهم وحفظ مكانتهم لقربهم من النبي ﷺ، بل هي دالة على أن محبتهم إيمان وعقيدة وإحسان، وبغضهم نفاق وخسار وخذلان- والعياذ باللّه-.

وعند البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أن رسول اللّه ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف علياً، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟» قال: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبي بعدي»[٢].

وغير ذلك من الأخبار الدالة على فضل آل البيت رضوان اللّه عليهم على العموم أو الخصوص.

وأما الصحابة رضي الله عنهم فهم أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها

---

(١) رواه أحمد: ح(١٧٧٧) والبزار في مسنده: ح(٢١٧٥).

(٢) رواه البخاري: ح(٤٤١٦).

تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالًا، اختارهم اللَّه لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه. كما قال ابن مسعود رضي الله عنه[(١)].

وهم صفوة خلق اللَّه تعالى بعد النبيين- عليهم الصلاة والسلام- فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قول اللَّه عز وجل: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٢)] قال: أصحاب محمد ﷺ[(٣)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه «إن اللَّه نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابهِ خيرَ قلوبِ العبادِ فجعلهم وزراءَ نبيهِ يُقاتِلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند اللَّه حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند اللَّه سيئ[(٤)].

وقد وردت في فضلهم آيات وأحاديث كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(٥)].

---

(١) شرح السنة النبوية للبغوي، وضعفه الشيخ الألباني في تخريج المشكاة (١/ ٤٢) ح(١٩٣).
(٢) سورة النمل الآية (٥٩).
(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٩/ ٤٨٢).
(٤) رواه أحمد: ح(٣٦٠٠) وقال الحافظ الهيثمي في المجمع: (١/ ٢١٧ح: ٨٣٢) رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون. وحسَّن الشيخ شعيب إسناده.
(٥) سورة التوبة الآية (١٠٠).

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»(٢).

وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة، وضيق الحال بخلاف غيرهم؛ ولأن إنفاقهم كان في نصرته وحمايته صلى الله عليه وآله وسلم وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم(٣).

ومما جاء في فضلهم رضي الله عنهم حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»(٤).

وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين كفر الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام(٥).

لقد عرف السلف الصالح فضل الصحابة الكرام وبيَّنوا ذلك وردوا على كل

---

(١) سورة الفتح الآية (١٨).
(٢) رواه البخاري: ح(٣٦٧٣)، ومسلم: ح(٢٥٤٠) واللفظ لمسلم.
(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٩٣).
(٤) رواه البخاري: ح(٢٥٦٢)، ومسلم: ح(٢٥٣٣).
(٥) التمهيد لابن عبد البر (٢٠/ ٢٥١).

من أراد انتقاصهم ﷺ قال ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عُمره».

جاء رجل إلى عبد اللَّه بن المبارك وسأله أمعاوية أفضل أو عمر بن عبد العزيز فقال: «لتراب في منخري معاوية مع رسول اللَّه ﷺ خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز.

وجاء رجل إلى الإمام أبي زرعة الرازي رحمه الله فقال: يا أبا زرعة أنا أبغض معاوية. قال: لِمَ؟ قال: لأنه قاتَل علياً. فقال أبو زرعة: إن ربَّ معاوية ربٌّ رحيم وخصمَ معاوية خصمٌ كريم فما دخولك أنت بينهما؟[١].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: إذا رأيت رجلًا يذكر أصحاب رسول اللَّه ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام[٢].

وقد جمعت في هذه الأوراق مواقف متنوعة، وقصصاً مشرقة للآل والأصحاب ﷺ، ورتبتها على أبواب مختلفة، وتركتها قفلًا من غير تعليق لأنها ناطقة بما فيها، واعتمدت في جمع هذه المواقف على مراجع متنوعة، وقد أنقل - أحياناً - جزءاً كبيراً من كتاب واحد لحصول المقصود به، ككتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي رحمه الله، و«حياة الصحابة» للكاندهلوي رحمه الله، و«صلاح الأمة في علو الهمة» لسيد عفاني وفقه اللَّه.

---

(١) راجع تاريخ دمشق: (٥٩ / ١٤١)، فتح الباري: (٢٠ / ١٣١).
(٢) تاريخ دمشق: (٥٩/٢٠٩).

وما يذكر هو بعض ما هو موجود في كتب التراجم والسير، وإنما أردت الإشارة لفضل آل البيت والصحابة، وحرصهم على الخير، ورغبتهم فيه، واستقصاء المواقف أمر غير ممكن.

أسأل اللَّه أن يبارك في هذا الجمع، وأن ينفع به، وأن يجمعنا مع النبيين والمرسلين، والآل والأصحاب في مقعد صدق عند مليك مقتدر. اللَّهم آمين، والحمد للَّه رب العالمين.

* * *

محبة الآل والأصحاب للرسول ﷺ

بعث اللَّه سبحانه رسوله ﷺ بين ظهراني قوم لا يعرفون للإسلام اسماً، ولا يعرفون للتوحيد رسماً، أمة مبعثرة تصب فضول الخمر على رأس الصنم.

جباه معفَّرة للات والعزى، وأنوف مُرغَمة لمناة الثالثة الأخرى. عبدوا الشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، والشجر، والحجر، بل عبدوا التمر، فإذا جاعوا أكلوه.

مرَّ أعرابي على صنم يعبده من دون اللَّه، وإذا ثعلب قد بال على رأس هذا الصنم، فأنشد:

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب[1]

فلما أراد اللَّه بالبشرية خيراً، أرسل لهم النبأ العظيم، والخطب الكريم محمداً ﷺ، فكان أعظم منة على العرب، والبشرية جمعاء.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2].

فأخرج اللَّه به الناس من دياجير الكفر إلى نور الإسلام، وانتشلهم من

(١) انظر: الطبقات الكبرى (١/ ٣٠٨)، والبداية والنهاية (٢/ ٣٥١).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٦٤).

دركات الجهل والعمى إلى حياة القلوب والأبدان.

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

لقد أدب ربنا سبحانه رسوله ﷺ فأحسن تأديبه فكان قرآناً يمشي على الأرض كما قالت أمنا عائشة رضي الله عنها، فزكاه اللَّه في خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وزكاه في عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[2]. وفي صدقه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3]. وفي بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[4].

ينتقل من حطام هذه الدنيا، وحقيرها، ويرقى إلى الملك الأعلى في حضرة اللَّه تعالى، فيرى من تهاويل السماء العليا، وعجائب سدرة المنتهى، وعظمة الرب- جل في علاه-، ومع ذلك لا يلتفت يمنة، ولا يسرة، فلا يزيغ بصره، ولا يطغى نظره، بل يقف وقفة ذل وخشوع، وانكسار وخضوع، فيثني عليه ربه بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[5].

لذا فالنبي ﷺ أشرف الناس حسباً ونسباً، وأعظمهم صدراً وموردا،

---

(١) سورة القلم الآية (٤).
(٢) سورة النجم الآية (٢).
(٣) سورة النجم الآية (٣-٤).
(٤) سورة النجم الآية (١٧).
(٥) سورة النجم الآية (١٧).

وأبهاهم صورة ومنظراً، وأجملهم ظاهراً وباطناً، وأروعهم أدباً وخلقاً.

في أشجع الناس قلباً غير منتقم   وأصدق الخلق طراً غير متهم
أبهى من البدر في ليلة التمام   وقل أسخى من البحر بل أرسى من العلم
أغرٌّ تشرق من عينيه ملحمة   من الضياء لتجلو الظلْم والظُلَم
في همة عصفت كالدهر واتقدت   كم مزقت من أبي جهل ومن صنم
أتى اليتيم أبو الأيتام في قدر   أنهى لأمته ما كان من يتم
من نحن قبلك إلا نطفة غرقت   في اليم بل دمعة خرساء في القدم
أهديتنا منبر الدنيا وغار حرا   وليلة القدر والإسراء للقمم
والحوض والكوثر الرقراق جئت به   أنت المزمل في ثوب الهدى فقم(١)

اللَّهم صل على محمد، وعلى آله وأصحابه.

إن من أعظم الصور الخالدة للآل والأصحاب- رضوان اللَّه عليهم- هي محبة النبي ﷺ، وتنوع صور تلك المحبة، واختلاف أشكالها.

وكم نحن بحاجة إلى الاقتداء بهم في تعبير صادق عن حبنا له ﷺ حباً ممزوجاً بالاتباع، والاقتداء، وفدائه بكل ما نملك.

إن من يزعم حبه للنبي ﷺ، ثم يأتي بكل ما يخالف أمره، فإنما مثله كمثل التي نقضت غزلها أنكاثاً من بعد قوة.

تعصي الحبيب وأنت تظهر حبه   هذا محال في القياس بديع

(١) من قصيدة تاج المدائح للدكتور عائض القرني.

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ألا فلنعمر قلوبنا بحب اللَّه تعالى، وحب النبي ﷺ، ولندم النظر في قراءة سيرته، وشمائله، ولنجعل سنته منهاجاً نسير عليه في كل مناحي حياتنا، ليكرمنا ربنا سبحانه بالحشر معه، والشرب من حوضه المورود، حيث لا يظمأ بعد شربه شارب أبداً.

رزقنا اللَّه وإياكم ذلك. اللَّهم آمين.

*** أبو بكر الصديق رضي الله عنه :**

عن أنس رضي الله عنه قال: توفي رسول اللَّه ﷺ فأصبح أبو بكر رضي الله عنه يرى الناس يترامسون(١)، فأمر غلامه يستمع ثم يخبره. فقال: سمعتهم يقولون: مات محمد، فاشتد أبو بكر وهو يقول: وانقطاع ظهري، فما بلغ المسجد حتى ظنوا أنه لم يبلغ(٢).

ومن أعظم الدلائل على محبة الصديق للنبي ﷺ ما حدث يوم الهجرة، فقد روى الحاكم في المستدرك بسنده إلى محمد بن سيرين قال:

ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فقال: واللَّه لليلة من أبي بكر خير من آل عمر، وليوم من أبي بكر خير من آل عمر، لقد خرج رسول اللَّه ﷺ لينطلق إلى

---

(١) يترامسون: يتخافتون، وهو من الرمس وهو الستر والتغطية (النهاية لابن الأثير٢/٢٦٣).

(٢) كذا في كنز العمال: (٧/٣٨٨)، ح(١٨٧٣٨). عزاه المتقي الهندي لابن خسرو وهو في كتاب الآثار لأبي يوسف، ص(٢١٤).

الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول اللَّه ﷺ، فقال: يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؟ فقال: يا رسول اللَّه، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فقال: يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق، ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك يا رسول اللَّه حتى أستبرئ لك الغار، فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة، فقال: مكانك يا رسول اللَّه حتى استبرئ الحجرة، فدخل واستبرئ، ثم قال: انزل يا رسول اللَّه، فنزل. فقال عمر: والذي نفسي لتلك الليلة خير من آل عمر[١].

*** عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

عن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب فضَّل المهاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك، وفضَّل أسامة بن زيد على عبد اللَّه بن عمر، فقال عبد اللَّه بن عمر: فقال لي رجل: فضَّل عليك أمير المؤمنين من ليس بأقدم منك سناً ولا أفضل منك هجرة، ولا شهد من المشاهد ما لم تشهد، قال عبد اللَّه: وكلمته فقلت: يا أمير المؤمنين فضَّلت عليَّ من ليس هو بأقدم مني سناً ولا أفضل مني هجرة، ولا شهد من المشاهد ما

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ح(٤٢٦٨) ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٢/٤٧٦)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح مرسل.

لم أشهد قال: ومن هو؟ قلت: أسامة بن زيد. قال: صدقت لعمر اللَّه! فعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول اللَّه ﷺ من عمر، وأسامة بن زيد كان أحب إلى رسول اللَّه ﷺ من عبد اللَّه بن عمر فلذلك فعلت(١).

ومن علامات محبة الفاروق للنبي ﷺ ما رواه البخاري بسنده عن جابر بن عبد اللَّه قال: كنا في غزاة، قال سفيان: مرة في جيش، فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول اللَّه ﷺ فقال: ما بال دعوى الجاهلية؛ قال: يا رسول اللَّه كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال: دعوها إنها منتنة، فسمع بذلك عبد اللَّه بن أبي، فقال فعلوها، أما واللَّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول اللَّه دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد(٢).

*** علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

ذكر ابن كثير اجتماع شياطين قريش في دار الندوة في يوم الزحمة، وحكى ما كان بينهم وبين إبليس الذي تبدَّى لهم في صورة الشيخ النجدي، واستقرَّ

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٥٢).
(٢) رواه البخاري: ح(٤٩٠٥).

رأيهم على ما ذكره أبو جهل بن هشام حين قال:

أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً[١] نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل - الدية - فعقلناه لهم.

فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له. فأتى جبرائيل رسول اللَّه ﷺ فقال له: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول اللَّه ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «نم على فراشي، وتسجّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم». وكان رسول اللَّه ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام، ثم خرج رسول اللَّه ﷺ وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٢] ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً. قال خيبكم اللَّه، قد واللَّه خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وقد وضع على

(١) جليداً: قوياً في نفسه وجسمه. (النهاية لابن الأثير: ١/ ٧٨٩).
(٢) سورة يس الآية (١-٩).

رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون علياً على الفراش متسجياً ببرد رسول اللَّه ﷺ فيقولون: واللَّه إن هذا لمحمد نائماً على برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي عن الفراش، فقالوا: واللَّه، لقد صدقنا الذي كان حدثنا[١].

*** العباس بن عبد المطلب:**

قيل للعباس: «أيما أكبر، أنت أو النبي ﷺ؟ قال: هو أكبر مني وأنا ولدت قبله[٢]. تأدباً واحتراماً لرسول اللَّه ﷺ.

*** زيد بن حارثة رضي الله عنه:**

زارت سعدى بنت ثعلبة أم زيد بن حارثة قومها وزيد معها، فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية فمروا على أبيات بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيداً وإذ هو يومئذ غلام يفعة قد أوصف، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع، فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول اللَّه ﷺ وهبته له فقبضه رسول اللَّه ﷺ. وقد كان أبوه حارثة بن شراحيل حين فقده قال:

---

(١) البداية والنهاية(٣/ ٢١٩). والقصة رواها ابن إسحق كما في سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٠) وعنه الطبري في تاريخه (١/ ٥٦٦).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: ح(٥٣٩٨) وابن أبي شيبة في المصنف: ح(٣٣٩٢١) وقال الهيثمي في المجمع: (٩/ ٢٢٧، ح: ١٥٤٨٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل ... أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل

فو اللَّه ما أدري وإن كنت سائلًا ... أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل

فياليت شعري هل لك الدهر رجعة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل

وإن هبت الأرواح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه ويا وجل

سأعمل نص العيس[1] في الأرض جاهداً ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي علي منيتي ... وكل امرئ فان وإن غره الأمل

وأوصي به قيساً وعمرا كليهما ... وأوصي يزيداً ثم من بعدهم جبل

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، وكان أكبر من زيد، ويعني يزيد أخا زيد لأمه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل.

قال: فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فقال: بلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي، وقال:

ألكني[2] إلى قومي وإن كنت نائياً ... بأني قطين البيت عِند المشاعر

فكُفوا عن الوجدِ الذي قد شَجَاكم ... ولا تعملوا في الأرض نصَّ الأباعر[3]

فإني بحمد اللَّه في خَيْر أسرة ... كرام مَعْدٍ[4] كابراً بعد كابر

فانطلق الكلبيون وأعلموا أباه. فقال: ابني ورب الكعبة. ووصفوا له

(١) العيس: الإبل البِيضُ مع شُقْرةٍ يَسِيرة. (النهاية: ٣/ ٦١٩).

(٢) أي: أبلغ رسالتي إلى قومي.

(٣) الأباعر جمع بعير: المراد هنا السير الشديد.

(٤) معد: نسبة إلى معد بن عدنان.

موضعه وعند من هو. فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل بفدائه، فقدما مكة فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه فقالا: يا ابن عبد اللَّه، يا ابن عبد المطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل الحرم وجيرانه وعند بيته، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإنا سنرفع لك في الفداء. قال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة. فقال رسول اللَّه ﷺ: فهل أنتم لغير ذلك؟ قالوا: ما هو؟ قال: ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فواللَّه ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً. قالوا: قد زدتنا على النصف وأحسنت. قال: فدعاه، فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي. قال: فأنا من قد علمت، ورأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهما. فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والأم. فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي اختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول اللَّه ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر، فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا. فدعي زيد بن محمد حتى جاء اللَّه بالإسلام، فزوجه رسول اللَّه ﷺ زينب بنت جحش، فطلقها زيد بعد ذلك، فتزوجها النبي ﷺ. فتكلم المنافقون في ذلك وطعنوا فيه، وقالوا: محمد يحرم نساء الولد، وقد

تزوج امرأة ابنه زيد فأنزل اللَّه تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[١]. وقال: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾[٢] فدعي يومئذ زيد بن حارثة[٣].

قال أهل السير: وشهد زيد بدراً، وأحداً، والخندق، والحديبية، وخيبر، واستخلفه رسول اللَّه ﷺ على المدينة حين خرج إلى المريسيع، وخرج أميراً في سبع سرايا ولم يسم أحد من أصحاب رسول اللَّه ﷺ في القرآن باسمه غيره[٤].

*** الزبير بن العوام رضي الله عنه:**

في يوم من الأيام سرت إشاعة بين الناس أن الرسول ﷺ قُتل، فما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمر الذي يريد أن يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ. فسأله عن ذلك فأخبره، قال: فدعا له ولسيفه.

وفي رواية: فقال النبي ﷺ ما لك يا زبير؟ قال: أخبرت أنك أخذت، قال: فكنت صانعاً ماذا؟ قال: كنت أضرب به من أخذك. فدعا له ولسيفه، وكان أول سيف سُلَّ في سبيل اللَّه[٥].

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٥).

(٣) الطبقات الكبرى: (٣/ ٤٢).

(٤) صفة الصفوة (١/ ١٥٥- ١٥٦).

(٥) أخرجه البيهقي في الكبرى: ح(١٣٤٦٥) وعبد الرزاق في المصنف: ح(٩٦٤٦) وانظر: أسد الغابة (٢/ ٢٥٠) والإصابة (٤/ ٨)

***عمران بن حصين رضي الله عنه :**

يقول عمران بن حصين رضي الله عنه : «ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

وفي هذا دلالة على حبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإجلاله له وتعظيمه إياه.

*** محمد بن مسلمة رضي الله عنه :**

كان محمد بن مسلمة يقال له: حارس نبي اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، فلما كسر سيفه - أي في زمن الفتنة - اتخذ سيفاً من خشب، وصيَّره في الجفن في داره، وقال: علقته أهيب به ذاعراً[٢].

وعن جابر بن عبد اللَّه أنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى اللَّه ورسوله، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول اللَّه أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم». قال: فأذن لي أن أقول شيئاً - يعني لخداع كعب بن الأشرف - قال: «قل»، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنانا - أتعبنا - وإني قد أتيتك أستسلفك - أقترض منك - قال: وأيضاً واللَّه لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: نعم ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٤٣٩)، وابن سعد في الطبقات (٤/ ٢٨٧)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٠٣) وصححه الشيخ شعيب.

(٢) تاريخ الإسلام (٤/ ١١٥)، وانظر: الطبقات الكبرى (٣/ ٤٤٥).

قال: ارهنوني نساءكم. قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم، فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللأمة - يعني السلاح- فواعده أن يأتيه فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة- وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة- وفي رواية- قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة بليلٍ لأجاب، قال: ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين... فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً - أي أطيب - قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب. فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشمَّ أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم فاقتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[١].

*** بيت من الأنصار رضي الله عنهم:**

عن أبي برزة الأسلمى: أن جليبيباً كان من الأنصار وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم النبي ﷺ فيها حاجة أم لا.

(١) رواه البخاري: كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، ح(٣٨١١). ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود، ح(١٨٠١).

فقال رسول اللَّه ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار زوجني ابنتك. فقال: نعم ونعمة عين، فقال له: إني لست لنفسي أريدها، قال: فلمن؟ قال: لجليبيب، قال: حتى أستأمر أمها، فأتاها فقال: إن رسول اللَّه ﷺ يخطب ابنتك. قالت: نعم ونعمة عين، زَوِّج رسول اللَّه ﷺ، قال: إنه ليس يريدها لنفسه، قالت: فلمن؟ قال: لجليبيب. قالت: حلقى أجليبيب إنيه مرتين لا لعمر اللَّه لا أزوج جليبيباً. قال: فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة لأمها من خدرها: من خطبني إليكما؟ قالت: النبي ﷺ. قالت: فتردون على النبي ﷺ أمره، ادفعوني إلى النبي ﷺ فإنه لا يضيعني، فأتى أبوها النبي ﷺ فقال: شأنك بها، فزوَّجها جليبيباً، فبينما النبي ﷺ في مغزى له وأفاء اللَّه تبارك وتعالى عليه، فقال رسول اللَّه ﷺ: هل تفقدون من أحدٍ؟ قالوا: نفقد فلاناً ونفقد فلاناً، فقال النبي ﷺ: لكني أفقد جليبيباً، فانظروه في القتلى، فنظروه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، قال: فوقف النبي ﷺ، فقال: قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه، ثم حمله رسول اللَّه ﷺ على ساعديه ما له سرير غير ساعدي رسول اللَّه ﷺ حتى حفر له ثم وضعه في لحده وما ذكر غسلاً[١].

---

(١) رواه أحمد في المسند: ح(١٩٨٢٣) وقال الحافظ الهيثمي في المجمع: (٩/٣٥٦ ح: ١٥٩٧٧) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم. وروى مسلم عن أبي برزة الجزء المتعلق بالغزوة واستشهاد جليب. (صحيح مسلم: ح:٢٤٧٢).

وقال ابن الأثير: جُليبيب بضم الجيم على وزن قنيديل، وهو أنصاري له ذكر في حديث أبي برزة الأسلمي، في إنكاح رسول اللّه ﷺ ابنة رجل من الأنصار، وكان قصيراً دميماً، فكأن الأنصاري أبا الجارية وامرأته كرها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول اللّه ﷺ فتلت قول اللّه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(١)، وقالت: رضيت وسلمت لما يرضى لي به رسول اللّه ﷺ، فدعا لها رسول اللّه ﷺ وقال: «اللّهم اصبب عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها كداً»، فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالًا(٢).

* عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد:

قال ابن سعد في ترجمة عمر بن الخطاب: إن عمر بن الخطاب فرض لعمر بن أبي سلمة أربعة آلاف درهم، فقال محمد بن عبد اللّه بن جحش: لم تفضل عمر علينا وقد هاجر آباؤنا وشهدوا؟ فقال عمر: أفضله لمكانه من النبي ﷺ، فليأت الذي يستعيب بأم مثل أم سلمة أعتبه(٣).

إن هذا التفاوت، والتنوع في حب النبي ﷺ دليل على أن كل واحد منا يستطيع أن يقدم للإسلام ما هو مطلوب منه فيما يقدره، لا فيما يقدر غيره.

فالآل والأصحاب عبَّروا عن حبهم للنبي ﷺ بالبذل بالمال، والبذل بالنفس، والدفاع عن عرضه، وإجلاله، وتوقيره، وغير ذلك.

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٦).

(٢) أسد الغابة لابن الأثير الجزري (١/ ٣٤٨).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣ / ٢٩٧).

وقد اجتمعوا في كل ما عبّروا به على أن هذه الأعمال تنطلق من شعور واحد هو: حب وإجلال لمقام النبي ﷺ وهذه التعبيرات المختلفة رسالة لنا جميعاً لنعبّر عن حبنا للنبي ﷺ بفعل الذي يحبه ويرضاه لو كان حياً، وتباين ميادين الخير، وكثرة سبله رحمة من اللّه سبحانه بنا لإمكان أن يعمل كل واحد ما يستطيع ويطبق.



عبادة الآل والأصحاب

أشرف لقب يلقب به المسلم: عبد اللَّه، وأجمل حال يكون عليها هي العبودية للَّه وحده لا أحد سواه.

ولما كانت صفة العبودية أكرم ما اتصف به العبد، وصف اللَّه بها رسوله محمداً ﷺ. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[1].

والعبادة بوصفها العام تشمل كل عمل صالح يتقرب به إلى اللَّه تعالى، والعبد مأمور بفعل كل ما يرضي اللَّه على سبيل الوجوب، أو على سبيل الاستحباب.

ومن أجلّ تلك العبادات ما يتعلق بمفهومها الخاص من الصلاة والصيام، والذكر، وقراءة القرآن، وهذه العبادات تعتبر كالزاد الذي لا يمكن للعبد أن ينفك عنه، ولا أن يتساهل به، إذ إن العبد يعرض له من مشاغل هذه الدنيا وفتنها ما قد يقسي قلبه، ويضعف علاقته بربه، فإذا حرص على مثل هذا القوت استقام أمره، وصلحت حاله.

فقوت الروح أرواح المعاني   وليس بأن طعمت ولا شربت

---

(١) سورة الفرقان الآية (١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية[١].

ولا يخفى أن العبادة روح ولب وعلاقة تواصل بين العبد وربه سبحانه، فإذا اقتصرت العبادة على الحركات، وتخلَّف عنها لبها وجوهرها من الخشوع والخضوع للَّه والذل والانكسار بين يديه، كان العبد مؤدياً لصورة العبادة لا لحقيقتها، فشرود القلب وغفلته في أدائه للعبادة من أعظم الآفات التي تؤدي لعدم قبول العمل، ولتجاوز هذا ذكر العلماء أسباباً لبعث الروح في عباداتنا منها:

١- تحديث القلب وتذكيره بالتعبد للَّه سبحانه، وأن سعادته في إحسان عبادته لربه والقيام للَّه بحقه.

٢- التهيؤ للعبادة والاستعداد لها، ويكون التهيؤ لكل عبادة بحسبه، فالتهيؤ للصلاة بالوضوء والحضور إلى المسجد مبكراً، قال سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما دخل علي وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها»[٢]، وقال ربيعة بن يزيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما أذن المؤذن لصلاة الظهر منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد، إلا أن أكون مريضاً أو مسافراً»[٣].

٣- الابتعاد عما يشوش القلب أثناء العبادة كالأصوات والزخارف ونحوها، فقد أخرج النبي ﷺ من بيته خميصة - ثوباً - له أعلام قائلاً:

---

(١) مدارج السالكين: ابن القيم، (١/ ٤٣١).
(٢) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصبهاني(٢/ ١٦٣).
(٣) شعب الإيمان للبيهقي: ح(٢٩٣٠).

«ألهتني آنفا عن صلاتي»[١].

٤- الإقبال على العبادة بقلب فارغ من مشاغل الدنيا وملهياتها، ففي البخاري تعليقاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ»[٢].

كل هذا من أجل أن ينخلع القلب من علائق الدنيا وينجذب إلى حقيقة العبادة، ويجتمع في قلب العبد وفكره ووجدانه الاتجاه إلى اللَّه تعالى.

٥- التنويع في أداء العبادة على جميع صفاتها الواردة حتى لا تتحول العبادة إلى حركات اعتيادية روتينية يفعلها العبد دون شعور بالفرق بين عبادة الأمس وعبادة اليوم، ولعل ذلك من حكم التنويع في صفات العبادات، فمن قرأ دعاء الاستفتاح في صلاة بصيغة فليقرأه في صلاة أخرى بصيغة أخرى من الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والتنويع في صفات العبادة بما يوافق السنة الصحيحة له أثر في طرد ما قد يطرأ على العبادة من صفة العادة والرتابة التي تضعف تأثير العبادة على القلب.

وكان لآل البيت والصحابة - رضوان اللَّه عليهم - حظ كبير من العبادة، فقضوا أعمارهم لا يأسون إلا باللَّه، فضربوا أروع الأمثلة في التقرب إلى اللَّه سبحانه بصالح القول، والعمل، فرحم اللَّه هؤلاء الكرام وحشرنا معهم في

---

(١) رواه البخاري: ح(٣٦٦) ومسلم: ح(٥٥٦).
(٢) رواه البخاري: ح(٦٧١).

الجنة دار السلام[(١)].

*** أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ لأبي بن كعب «إن اللَّه أمرني أن أقرأ عليك القرآن»[(٢)].

وفي رواية: أو سماني لك؟ قال النبي ﷺ: «نعم». قال: فبكى أبي[(٣)] هذا واللَّه السؤدد، وهذا واللَّه الشرف.

عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب قال: قال النبي ﷺ: «أنزلت عليَّ سورة وأمرت أن أقرئكها قال: قلت: أسميت لك؟ قال: نعم. قلت لأبي: أفرحت بذلك يا أبا المنذر؟ قال: وما يمنعني، واللَّه تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[(٤)(٥)].

وصحَّ من طرق عن أنس بن مالك أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر... وأقرؤهم لكتاب اللَّه أُبي...»[(٦)].

---

(١) راجع مقالة د. عبد العزيز آل عبد اللطيف بعنوان: الآثار السلوكية لتوحيد العبادة منشورة في مجلة البيان.

(٢) رواه البخاري: ح(٤٩٥٩)، ومسلم: ح(٧٩٩).

(٣) رواه أحمد: ١٢٤٢٦ والنسائي في الكبرى: ح(٧٩٩٩). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) سورة يونس الآية «٥٨».

(٥) رواه الحاكم: ح(٥٣٢٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٦) رواه الترمذي: ح(٣٧٩١).

* عثمان بن عفان رضي الله عنه :

«قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي: لأغلبن الليلة على المقام، قال: فلما صليت العتمة تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه، فبينا أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي، فإذا هو عثمان بن عفان، فبدأ بأم القرآن، فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد، ثم أخذ نعليه، فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئاً أم لا»[(١)].

«كان رضي الله عنه يحيى الليل كله فيقرأ القرآن في كل ركعة»[(٢)].

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين أطافوا به يريدون قتله: «إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيى الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن»[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير: «وقد روي من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه، ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[(٤)]. قال: هو عثمان بن عفان»[(٥)].

وقال فيه حسان بن ثابت:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

---

(١) الحلية (١/ ١٥٦).

(٢) سنن البيهقي الكبرى (٢/ ٣٩٦).

(٣) الطبراني في الكبير (١/ ٨٧). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٩٤) رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٤) سورة الزمر الآية (٩).

(٥) البداية والنهاية: (٧/ ٢١٥).

قال النووي في «التبيان»: فمن الذين كانوا يختمون الختمة في اليوم والليلة: عثمان بن عفان ﵁ وتميم الداري، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشافعي، وآخرون»[١].

❊ **عبد اللَّه بن مسعود ﵁ :**

قال عروة بن الزبير: «أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول اللَّه ﷺ عبد اللَّه بن مسعود[٢].

وروى البخاري عن عبد اللَّه بن مسعود ﵁ قال: «واللَّه الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب اللَّه إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب اللَّه تبلغه الإبل لركبت إليه»[٣].

قال عبد اللَّه: «والذي لا إله غيره، لقد قرأت من في رسول اللَّه ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب اللَّه مني تبلغنيه الإبل لأتيته»[٤].

وعن أبي بكر وعمر ﵄ قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد»[٥].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن: ص(٥٥).
(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة (٦/ ٢١٥).
(٣) رواه البخاري: ح(٤٧١٦).
(٤) سير أعلام النبلاء: (١/ ٤٧١).
(٥) رواه أحمد: ح(٤٢٥٥)، سير أعلام النبلاء (١/ ٤٧٥).

*** أبو الدرداء رضي الله عنه :**

عن ابن حلبس قال: قيل لأبي الدرداء، وكان لا يفتر من الذكر: كم تسبِّح في كل يوم؟ قال: مائة ألف، إلا أن تخطيء الأصابع[(١)].

*** تميم الداري رضي الله عنه :**

عن أبي المهلب: كان تميم يختم القرآن في سبع.

وعن ابن سيرين، أن تميماً الداري كان يقرأ القرآن في ركعة.

وعن مسروق: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، صلى ليلة حتى أصبح، أو كاد، يقرأ آية، يرددها ويبكي ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[(٢)(٣)].

*** أبو هريرة رضي الله عنه :**

عن عكرمة، أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يقول: أُسبِّح بقدر ديتي[(٤)].

إن ما سبق من أمثلة وشواهد تدل دلالة صادقة على تجرد الآل والأصحاب في تحقيق العبودية للَّه تعالى، وبذل النفس في سبيل استشعار لذة مناجاته جل وعلا، والخضوع بين يدي المولى الرحيم لتحقيق معنى «إياك نعبد

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٤٨).
(٢) سورة الجاثية الآية (٢١).
(٣) الطبقات الكبرى: (٣/ ٥٠٠)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٥).
(٤) تاريخ دمشق: (٦٧/ ٣٦٣) - سير أعلام النبلاء (٢/ ٦١٠).

وإياك نستعين».

لقد أدرك الآل والأصحاب أن وجل القلب، وتعظيمه للَّه - سبحانه - يفضي إلى لهج اللسان بالذكر، وظهور أثر الحب، والخوف على جوارح الإنسان وأعضائه.

لقد كانوا يلقون بأرواحهم قبل أجسادهم بين يدي ربهم، وقد انخلعوا من علائق الدنيا، وسموا بأرواحهم إلى العرش عن الحش، جمالًا وجلالًا.

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

إن فقه العبادة لا يعني قصره على ما يصلحها، ويفسدها فقط، وإنما يتعدى ذلك لفقه القلوب، فالصلاة ليست حركات وسكنات مجردة من انكسار، وذل، وخضوع، ولذة سؤال.

إننا محتاجون أن نبذل وسعنا لتحقيق اللذة والخشوع في كل عبادة، وبهذا يحصل المراد، وهو القرب من اللَّه سبحانه، بلغنا اللَّه وإياكم ذلك.

❊ ❊ ❊

صوم الآل والأصحاب

من المعلوم أن العبادات شرعت لأغراض وأهداف ومقاصد معينة وهو مابينه القرآن في شأن كثير من العبادات، وبخاصة الأركان منها، وإدراك هذه المقاصد له أهمية كبيرة، وبخاصة في أداء العبادة، حيث يعرف المرء مستوى العبادة التي يقوم بها.

ومن ذلك الصوم الذي شرعه اللَّه لتحقيق التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وهذا المقصد الكبير من الصيام تندرج تحته مقاصد تفصيلية لازمة له، أي إذا اجتمعت وتحققت فإنها توصل صاحبها إلى التقوى وإن تعطلت لم تتحقق التقوى.

ومن هذه المقاصد:

- *تجديد التوبة:*

فالصوم جاء ليكسب العبد هذه الصفة العظيمة التي يحتاجها في مسيرة حياته المملوءة بالأخطاء والتعثرات.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٣).

فالصوم ليس فقط ليتوب فيه المرء وإنما ليتدرب فيه المرء على اكتساب صفة التواب.

فمن المعاني التي من أجلها سمي شهر رمضان بهذا الاسم أنه شهر ترتمض فيه الذنوب، أي تحترق، فرمضان مصدر رمض أي احترق ومنه الرمضاء، أي بقايا الحريق. قال القرطبي: قيل: إنما سمي رمضان؛ لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها بالأعمال الصالحة.

وإذا كانت التوبة المطلوب منها مغفرة الذنوب كما صرح القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[(١)].

فإن رمضان جعل لهذا الغرض بالذات كما يتبين من خلال مجموعة من النصوص: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٢)].

«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٣)] «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[(٤)].

فربط هذه الأعمال الكثيرة والمتكررة خلال الشهر بكامله بالمغفرة من الذنوب القصد منه أن يشعر المرء بأنه مذنب وأنه يحتاج إلى مغفرة أي توبة مستمرة، وهذا التكرار اليومي من شأنه أن يربي المرء على صفة

(١) سورة التحريم الآية (٨).
(٢) رواه البخاري: ح(١٩١٠)، ومسلم: ح(٧٦٠).
(٣) رواه البخاري: ح(١٩٠٥).
(٤) رواه البخاري: ح(١٨٠٢) ومسلم: ح(٧٦٠).

الإنابة المتجددة والتوبة المستمرة، حتى إذا خرج شهر رمضان كانت ملازمة له ليكون من التوابين.

- *تقوية الإرادة:*

من المقاصد الأساسية للصيام أنه شرع ليربي الإرادة في الإنسان وذلك من خلال ثلاثة أمور:

أولها: كفه عن الشهوات والملذات وعن المعاصي طيلة شهر بكامله.

ثانيها: حثه على الاجتهاد في الطاعات وفعل الخيرات.

ثالثها: توافر الأجواء الإيمانية والنفحات الربانية التي تميز الصيام عن غيره من العبادات الأخرى بحيث يجد المرء نفسه ذو إرادة قوية وهمة عالية.

- *التسلح بالصبر:*

من الصفات الهامة التي يحققها الصيام صفة الصبر، وهي صفة ضرورية لأداء العبادات، وضرورية لاجتناب المنكرات، وضرورية عند نزول المصائب والنكبات، والدين كله إما صبر على الطاعة أو صبر عن المعصية (الصبر على البلاء) وصفة من هذا القبيل تتطلب من كل مسلم أن يتربى عليها وأن يحرص كل الحرص على اكتسابها، وشهر رمضان فرصة كبيرة لتحقيق هذا الغرض؛ لأنه يتمثل فيه الصبران: صبر الطاعة وصبر المعصية. ولهذا سماه الرسول ﷺ شهر الصبر؛ حيث يصبر فيه المسلم على الاجتهاد في الطاعات من صيام وصلاة وقيام وذكر وتلاوة ودعاء، ويصبر كذلك على الشهوات، وعلى ترك المنكرات.

ولما كان رمضان يحقق الصبر اشتركا معاً في الأجر والثواب المفتوح:

فقال تعالى عن الصيام كما في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال اللَّه عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند اللَّه من ريح المسك»[(١)]

وقال سبحانه عن الصبر: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(٢)].

- **تقويم الأخلاق:**

لما كان الإسلام ديناً يعتني بالأخلاق اعتناء بالغاً كما يتجلى من قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(٣)] جعل الصيام فرصة لتربية النفس على الأخلاق الفاضلة وتجنيبها الأخلاق الفاسدة.

ومن نظر في سير الآل والأصحاب وجد أنهم كانوا أكثر الناس حرصاً على صوم النفل بأشكاله المختلفة، حتى سرد بعضهم الصوم، ورضوا بالقليل من الطعام والشراب، طمعاً في الجنة وما فيها، رضي اللَّه عنهم وأرضاهم، وإليك المثال:

---

(١) رواه البخاري: ح(١٩٠٤)، رواه مسلم: ح(١٦٤).
(٢) سورة الزمر الآية (١٠).
(٣) رواه البزار وقال الحافظ الهيثمي في المجمع: (٨/ ٢٩٩، ح:١٤١٨٨) رجاله رجال الصحيح غير محمد بن رزق اللَّه الكلوذاني وهو ثقة.

*** عمر بن الخطاب رضي الله عنه :**

عن ابن عمر رضي الله عنه ، قال: ما مات عمر حتى سرد الصوم[(١)].

ومعنى سرد الصوم هنا: أنه كان كثير الصيام، ولا يفهم منه أنه كان يصوم أبداً فهذا منهي عنه.

*** عثمان بن عفان رضي الله عنه :**

قال أبو نعيم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه : «حظه من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشر بالبلوى، منعم بالنجوى»[(٢)] وعن الزبير بن عبد اللّه، عن جدةٍ له يقال لها: رهيمة، وقيل: زهيمة، قالت: «كان عثمان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هجعةً من أوله رضي الله عنه »[(٣)].

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية: «أن عثمان صلى صلاة الصبح ذات يوم، فلما فرغ أقبل على الناس فقال: إني رأيت أبا بكر وعمر أتياني الليلة، فقالا لي: صُم يا عثمان، فإنك تفطر عندنا، وإني أُشهدكم أني قد أصبحت صائماً، وإني أعزم على من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر أن يخرج من الدار سالماً مسلوماً منه. . . . ثم أمر بباب الدار ففتح ودعا بالمصحف فأكبَّ عليه رضي الله عنه »[(٤)].

---

(١) صفوة الصفوة: ابن الجوزي (١/ ٢٨٦).
(٢) حلية الأولياء: (١/ ٥٥).
(٣) صفوة الصفوة: (١/ ٣٠٢)، المصنف لابن أبي شيبة (٢/ ١٧٣).
(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٢١).

* أبو طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أبو طلحة لا يصوم على عهد رسول اللَّه ﷺ من أجل الغزو، فلمّا قُبض النبي ﷺ لم أره مفطراً إلَّا يوم فطرٍ أو أضحى(١).

وقال عنه الذهبي: «كان قد سرد الصوم بعد النبي ﷺ»(٢).

* عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

عن عبد الرحمن بن القاسم: أن عائشة كانت تصوم الدهر. وأخرجه ابن سعد عن القاسم بلفظ: أن عائشة كانت تسرد الدهر. وعن عروة: أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تسرد الصوم. وعن القاسم أنها كانت تصوم الدهر، ولا تفطر إلا يوم أضحى أو يوم فطر(٣).

وروى الحاكم بسنده عن هشام بن عروة قال: «بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف درهم، فقسمتها ؛ لم تترك منها شيئاً، فقالت بريرة: أنت صائمة، فهلا ابتعت لنا منها بدرهمٍ لحماً؟ قالت: لو ذكرتني لفعلت»(٤).

* حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

عن قيس بن زيد أن النبي ﷺ طلَّق حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة وعثمان ابنا مظعون، فبكت وقالت: واللَّه ما طلّقني عن شِبَع. وجاء

---

(١) رواه البخاري: ح(٢٦٧٣)، والصوم المراد هنا هو صوم التطوع.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧).
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٣١).
(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٧)، والحاكم في المستدرك: ح(٦٧٥٤).

النبي ﷺ فَتَجَلْبَبت. قال: «فقال لي جبريل عليه السلام: راجِعْ حفصة ؛ فإنها صوَّامةٌ قوامة، وإنها زوجتك في الجنة»[١].

*** عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنه :**

قال عنه نافع: «كان ابن عمر لا يصوم في السفر، ولا يكاد يُفطر في الحضر»[٢].

عن سعيد بن جبير قال: لما احْتُضِر ابن عمر، قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا ثلاث: ظَمَأ الهواجر، ومُكابدة الليل، وأني لم أُقاتل الفئة الباغية التي نزلتْ بنا ؛ يعني الحجَّاج[٣].

*** أبو أُمامة الباهِلِّي رضي الله عنه :**

عن رجاء بن حيوة، عن أبي أُمامة قال: أنشأ رسول اللَّه ﷺ غزواً فأتيته، فقلت: يا رسول اللَّه ﷺ، ادعُ اللَّه لي بالشهادة. قال: «اللَّهم سلّمهم وغنّمهم». فغزونا، فسلمنا وغنمنا. . . . . فقلت: يا رسول اللَّه مرني بعملٍ آخذه عنك ينفعني اللَّه، قال: «عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له». قال: فكان أبو أمامة، وامرأته، وخادمه لا يلفون إلا صياماً»[٤].

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وقال الحافظ الهيثمي في المجمع: (٩/ ١٩٥، ح: ١٥٣٣٤) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢١٥).
(٣) أخرجه ابن سعد (٤ / ١٨٥).
(٤) أخرجه أحمد: ح(٢٢٢٤٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير رجاء بن حيوة الكندي الفلسطيني فمن رجال مسلم (٥/ ٢٤٨-٢٤٩).

* عبد اللَّه بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

عن ابن أبي مُليكة قال: «كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام، ويصبح في اليوم السابع وهو ألْيَثنا- أشدنا»[١].

وقال ابن عمر وقد رآه مصلوباً: «السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، السلام عليك أبا خبيب، أما واللَّه لقد كنت أنهاك عن هذا، أما واللَّه لقد كنت أنهاك عن هذا، أما واللَّه إنْ كنتَ ما علمتُ صوّاماً قوّاماً وَصُولًا للرَّحِم، أما واللَّه لأمة أنت أشرها لأمةُ خيرٍ»[٢].

*حمزة بن عمرو الأسلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن حمزة بن عمرو الأسلمي سأل رسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول اللَّه، إني رجل أسرد الصوم، أفأصوم في السفر؟ قال: «صم إن شئت، وأفطر إن شئت»[٣].

لما كان بالصوم تحقيق لمعاني العبودية للَّه سبحانه، ومواساة الفقراء والمساكين، والابتعاد عن البطنة التي قد تصرف العبد عن ربه، تنافس الآل والأصحاب في صوم التطوع فمنهم من كان يصوم أياماً وردت النصوص في فضلها، ومنهم من كان يواصل أياماً متتابعة، ومنهم من كان يسرد الصوم، فيصوم الدهر إلا أياماً جاء المنع فيها.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٣٥).
(٢) رواه مسلم: ح(٢٥٤٥).
(٣) رواه مسلم: ح(١١٢١).

ولست هنا في مقام تحرير مسألة سرد الصوم، أو مسألة الوصال، ففي كلا المسألتين كلام مشهور للعلماء، ومدون في أبواب الصيام من كتب الفقه.

والذي يعنينا من ذلك بيان الرغبة العظيمة عند الآل والأصحاب في الحرص على الصوم، وإدراك ما فيه من الأجر العظيم، والثواب الكريم، وما يحصل فيه من مقاصد عظيمة لا يمكن بلوغها إلا به.

ولما كان الصوم علامة على الخير، وصلاح صاحبه راجَع النبي ﷺ حفصة رضي الله عنها. ففلاح العبد في علاقته مع ربه، يقيه مصارع السوء.

* * *

ورع الآل والأصحاب

الورع صفة جامعة لكل خصال الكمال، وعلامة على صلاح العبد، وحسن دينه، وخوفه من ربه، ومراقبته له في السر والعلن.

ولأهمية الورع، ورفعة منزلته، وعلو شأنه، وعظيم أثره، أشار إليه الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة، منها:

عن عطية بن عروة السعدي الصحابي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس»[(١)].

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»[(٢)].

و عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الإيمان: خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم اللَّه، وحِلم يردُّ به جهل الجاهل»[(٣)].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، وقال: حديث حسن غريب، ح(٢٤٥١) وضعفه الألباني.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط: ح(٣٦٩٠) والبزار: ح(٢٩٦٩) وقال الحافظ الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه عبد اللَّه بن عبد القدوس وثقه البخاري وابن حبان وضعفه ابن معين وجماعة.

(٣) رواه البزار: ح(٦٤٤٣).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: «أخذ الحسن بن علي ﵄ تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كخْ كخْ، ارمِ بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة، أو أنَّا لا تحل لنا الصدقة»[١].

ودخل الحسن البصري ﵀ مكة فرأى غلاماً من أولاد علي بن أبي طالب ﵁ قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوقف عليه الحسن وقال: ما ملاك الدين؟ فقال: الورع، قال: فما آفة الدين؟ قال: الطمع. فتعجب الحسن منه، وقال: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة[٢].

قال ابن عطاء اللَّه السكندري ﵀: ليس يدل على فهم العبد كثرةُ علمه، ولا مداومتُه على وِرده، وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه إليه بقلبه، والتحرر من رق الطمع، والتحلي بحلية الورع[٣].

وليس أدلَّ على منزلة الورع، وأنه من أعظم أنواع العبادة من وصية رسول اللَّه ﷺ لأبي هريرة ﵁ حيث قال: «يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبدَ الناس»[٤].

ولهذا كان الورع سبيلًا لنيل المنح الإلهية الكبرى، كما قال يحيى بن معاذ

---

(١) رواه مسلم: ح(١٠٦٩).
(٢) الرسالة القشيرية: ص(٥٤).
(٣) إيقاظ الهمم بشرح متن الحكم: ابن عجيبة (١/ ٧١).
(٤) رواه ابن ماجه: ح(٤٢١٧). والترمذي: ح(٢٣٠٥) وحسَّنه الألباني.

ﷺ : من لم ينظر في الدقيق من الورع، لم يصل إلى الجليل من العطاء[١].

الورع: هو ترك الشبهات حتى لا يتردى في حمأة المخالفات، اتباعاً لإرشاد رسول اللَّه ﷺ في قوله: «إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهاتِ فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى اللَّه محارمه. . .»[٢].

الورع: ترك ما يكدر القلب ويجعله في قلق وظلمة. فأهل القلوب يتورعون عما يهجس في قلوبهم من الخواطر، وما يَحيك في صدورهم من الوساوس وقلوبهم الصافية أعظم منبه لهم حين يترددون في أمر أو يشكُّون في حكم ؛ كما أشار إلى ذلك رسول اللَّه ﷺ بقوله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[٣]، وبقوله: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطَّلع عليه الناس»[٤].

وفي هذا يقول سفيان الثوري رحمه الله : ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: (٦ / ١٦٧).
(٢) رواه البخاري: ح (٥٢)، ومسلم: ح(١٥٩٩).
(٣) رواه الترمذي: ح(٢٥١٨) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.
(٤) رواه مسلم: ح(٢٥٥٣).

في نفسك فاتركه[١].

وأورع الناس بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الآل والأصحاب، فقد كانوا أحسن الناس ورعاً، وأعظمهم خشية، وأكثرهم مهابة، وأقربهم للحلال، ولما يرضي اللَّه، وأبعدهم عن الحرام، وعما يسخط اللَّه، فسادوا الدنيا بدينهم وأخلاقهم - جمعنا اللَّه بهم في جنانه -.

* **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه :

قال محمد بن سيرين: لم أعلم أحداً استقاء من طعام أكله غير أبي بكر رضي الله عنه ، فإنه أتي بطعام فأكله، ثم قيل له: جاء به ابن النعمان، قال: فأطعمتموني كهانة ابن النعمان،ثم استقاء[٢].

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مملوك يغل عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة وما تسألني الليلة قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس فأعطوني، قال: إن كدت أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك اللَّه كل هذا

(١) الرسالة القشيرية: ص(٥٤).
(٢) كنز العمال(٤/ ٣٦٠).

من أجل هذه اللقمة، قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة[١].

* عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قال زيد بن أسلم: شرب عمر رضي الله عنه لبناً، فأعجبه فسأل الذي سقاه: من أين لك هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماء فإذا نعم من نعم الصدقة، وهم يسقون، فحلبوا لنا من ألبانها، فجعلته سقائي هذا، فأدخل عمر أصبعه واستقاءه[٢].

عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: كنا نلزم عمر بن الخطاب، نتعلم منه الورع[٣].

*علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

وأخرج ابن عساكر عن الشعبي قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً بالكوفة، فوقف على باب فاستقى ماءً، فخرجت إليه جارية بإبريق ومنديل، فقال لها: يا جارية، لمن هذه الدار؟ قالت: لفلان القسطال، فقال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا تشرب من بئر قسطال ولا تستظلن في ظل عشار»[٤].

---

(١) الحلية (١/ ٣١).
(٢) السنن الكبرى للبيهقي: ح(١٣٥٤٢). وشعب الإيمان: ح(٥٧٧١).
(٣) رواه ابن سعد (٣/ ٢٩٠).
(٤) تاريخ دمشق (٢١/ ٢١٨).

* **معاذ بن جبل** رضي الله عنه :

وأخرج أبو نعيم عن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كانت له امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما في الشام، والناس في شغل، فدفنتا في حفرة، فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر. وعنده أيضاً من طريق مالك عن يحيى قال: كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان، فإذا كان عند إحداهما لم يشرب من بيت الأخرى الماء[١].

* **ابن عباس** رضي الله عنهما :

عن طاوس قال: أشهد لسمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أشهد لسمعت عمر رضي الله عنه يهل، فإنا لواقفون في الموقف، فقال له رجل: أرأيت حين دفع؟ فقال ابن عباس: لا أدري، فعجب الناس من ورع ابن عباس[٢].

والإهلال: رفع الصوت بالتلبية.

ليس الورع عند الآل والأصحاب بإصلاح الظاهر، وإفساد الباطن، وإنما كان بالباطن أولًا، لأن به ملاك الأمر، ودون إغفال الظاهر لأنه علامة على ما في الباطن.

وهذه المواقف القليلة هي بعض ما جاء عنهم في الإشارة إلى خوفهم من اللَّه سبحانه، ومراقبتهم له في كل ما يصنعون، وصيانتهم دينهم عما يدنسه ويفسده.

---

(١) الحلية (١/ ٢٣٤).

(٢) كنز العمال(٥/ ٢٢٩).

ورع في المال، والكسب، والعلم، والعبادة، وكل شؤون حياتهم.

وكثير من الناس اليوم أحوج ما يكون إلى استحضار مثل هذه الآثار، وهم يتمضحون بأوضار الشبهات، بل والحرام أحياناً، فيطعمون أنفسهم، وأهليهم مما حرم اللَّه سبحانه، دون تفكر في عواقب هذا الفعل، وشؤمه في الدنيا والآخرة.

❊ ❊ ❊

كرم الآل والأصحاب

الكرم يطلق على كل ما يحمد من أنواع الخير والشرف والجود والعطاء والإنفاق.

ففي صحيح البخاري سئل رسول اللَّه ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أتقاهم للَّه». قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: «أكرم الناس يوسف نبي اللَّه ابن نبي اللَّه ابن نبي اللَّه ابن خليل اللَّه. قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألونني؟. قالوا: نعم، قال: فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»(١).

فالرسول ﷺ وصف يوسف عليه السلام بالكرم لأنه اجتمع له شرف النبوة، والعلم، والجمال، والعفة، وكرم الأخلاق، والعدل، ورياسة الدنيا، والدين. ومن أسماء اللَّه سبحانه أنه الكريم، وهو الكثير الخير، الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه.

وأما النبي ﷺ فقد كان أكرم الناس شرفاً ونسباً، وأجودهم في العطاء والإنفاق، فقد أتاه رجل يطلب منه مالًا، فأعطاه النبي ﷺ غنماً بين جبلين، فأخذها كلها، ورجع إلى قومه، وقال لهم: أسلموا، فإن محمداً

---

(١) رواه البخاري: ح(٣١٩٤).

ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة[١].

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
تـراه إذا مـا جـئـتـه مـتـهـللًا كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولم لو يكن في كفه غير روحه لـجـاد بـهـا فـليـتـق الـلَّه سـائـلـه

وفي مسند أحمد أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذكرت أنهم ذبحوا شاة، ثم وزعوها على الفقراء؛ فسأل النبي ﷺ عائشة: «ما بقي منها؟» فقالت: ما بقي إلا كتفها؛ فقال النبي ﷺ: «بقي كلها غير كتفها»[٢].

والكرم له أنواع كثيرة، منها:

الكرم مع اللَّه: المسلم يكون كريماً مع اللَّه بالإحسان في العبادة والطاعة، ومعرفة اللَّه حق المعرفة، وفعل كل ما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه.

الكرم مع النبي ﷺ: ويكون بالاقتداء بسنته، والسير على منهجه، واتباع هديه، وتوقيره.

الكرم مع النفس: فلا يهين الإنسان نفسه، أو يذلها أو يعرضها لقول السوء أو اللغو، وقد وصف اللَّه عباد الرحمن بأنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾[٣].

---

(١) رواه مسلم: ح(٢٣١٢).

(٢) رواه أحمد: ح(٢٤٢٨٦). وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٣) سورة الفرقان الآية (٧٢).

الكرم مع الأهل والأقارب: المسلم يكرم زوجه وأولاده وأقاربه، وذلك بمعاملتهم معاملة حسنة، والإنفاق عليهم، فخير الإكرام والإنفاق أن يبدأ المسلم بأهله وزوجته. ففي صحيح مسلم قال ﷺ: «دينار أنفقتَه في سبيل اللَّه، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقتَ به على مسكين، ودينار أنفقتَه على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقتَه على أهلك»(١).

فالصدقة على القريب لها أجر مضاعف؛ لأن المسلم يأخذ بها ثواب الصدقة وثواب صلة الرحم.

روى الترمذي عن النبي ﷺ قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم ثنتان: صدقة، وصلة»(٢).

إكرام الضيف: قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»(٣).

الكرم مع الناس: وطرق الكرم مع الناس كثيرة؛ فالتبسم في وجوههم صدقة، كما أخبر النبي ﷺ فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»(٤).

---

(١) رواه مسلم: ح(٩٩٥).
(٢) رواه الترمذي: ح(٦٥٨)، وأبو داود (٢٣٥٥).
(٣) رواه البخاري: ح(٦١٣٦).
(٤) رواه مسلم: ح(٢٦٢٦).

وثواب الجود والإنفاق عظيم، وقد رغبنا اللَّه فيه في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال اللَّه تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

ولأن الكرم من أجمل خصال الإنسان، فقد كان كرم الآل والأصحاب رضوان اللَّه عليهم غاية في الحسن والبهاء والروعة والعطاء.

فكانوا يعطون من يسر، ومن عسر، ويشركون كل أحد فيما عندهم، ويراعون ما أوجب اللَّه من إخراج المال فيما أمرهم اللَّه به، فكانوا مشاعل نور من كرم، وسحائب جود تحمل الغيث والنعم.

فهل من مشمرٍ للإبحار في بحر جودهم؟ ومن طالبٍ لمجاورة منازلهم؟

فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

(١) سورة البقرة الآية (٢٦١).
(٢) سورة البقرة الآية (٢٧٢).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٧٤).

*** أبو بكر الصديق رضي الله عنه :**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما نفعني مال قط، ما نفعني مال أبي بكر»، فبكى أبو بكر، وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول اللَّه؟![1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «من أنفق زوجاً أو قال زوجين من ماله، أراه قال: في سبيل اللَّه، دعته خزنة الجنة يا مسلم هذا خير هلم إليه، فقال أبو بكر: هذا رجل لا تُودَى عليه، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: ما نفعني مال قط إلا مال أبي بكر، قال: فبكى أبو بكر، وقال: وهل نفعني اللَّه إلا بك وهل نفعني اللَّه إلا بك وهل نفعني اللَّه إلا بك[2].

*** عثمان بن عفان رضي الله عنه :**

عن أبي عبد الرحمن أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر، أشرف عليهم، وقال: أنشدكم باللَّه، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ألستم تعلمون أن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من حفر رومة فله الجنة». فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة. فجهزته، قال: فصدقوه بما قال[3].

عن عبد اللَّه قال: رأى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن عفان يوم جيش العُسرة جائياً وذاهباً، فقال: «اللَّهم اغْفِرْ لعثمان ما أقبل وما أدبر، وما أخفى وما

---

(١) رواه أحمد: ح(٧٢٦٥).

(٢) أخرجه أحمد: ح(٨٤٣٥).

(٣) صحيح البخاري: ح(٢٧٧٨).

أعلن، وما أسرَّ وما أجْهرَ»[١].

* **عبد الرحمن بن عوف** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

قال عبداللَّه بن جعفر الزهري حدثتنا أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن باع أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسمه في فقراء بني زهرة، وفي المهاجرين، وأمهات المؤمنين. قال المسور: فأتيت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بنصيبها، فقالت: من أرسل بهذا؟ فقلت عبد الرحمن. فقالت: أما إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا يَحْنُو عليكُنَّ بَعْدِي إلَّا الصّابرون» سقى اللَّهُ ابن عوفٍ من سلسبيل الجنة[٢].

* **الزُّبير بن العَوَّام** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

قال مغيث بن سُمَيّ: كان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدّون إليه الخراج، فلا يدخل بيته من خراجهم شيئاً[٣].

* **طلحة بن عبيد اللَّه** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

عن سُعدى بنت عوف المريّ قالت: دخل عليَّ طلحة ذات يوم وهو خَاثِرُ - ثقيل - النفس، فقلتُ: مالي أراك كالح الوجه، ما شأنك، أرابك مني فأعتبك؟ قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت. قالت: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثُر وأكْرَبني. قالت: فقسمّه حتى ما بقي منه درهم. قالت سُعدى:

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٩).
(٢) رواه أحمد: ح(٢٥٠٧٦) وحسَّنه الشيخ شعيب.
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٥٥).

فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف[١].

*** جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما احْتَذَى النعال، ولا رَكِبَ المطايا بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب»[٢]. يعني في الجود والكرم.

وعن أبي هريرة قال: كُنَّا نسمِّي جعفر أبا المساكين. كان يذهب بنا إلى بيته فإذا لم يجد لنا شيئاً، أخرج إلينا عُكَّة أَثَرُها عسل، فنشُقّها ونَلْعَقها[٣].

والعكة: ظرف العسل.

*** عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنه:**

عن حبيب بن أبي ثابت قال: قدم أبو أيوب الأنصاري البصرة ونزل على ابن عباس ففرَّغ له بيته الذي كان فيه، وقال لأصْنَعَنَّ بك كما صنعت برسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم. وقال: كم عليك من الدَّيْن؟ قال: عشرون ألفاً فأعطاه أربعين ألفاً، وعشرين مملوكاً وقال: لك ما في البيت كلّه[٤].

*** عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنه:**

عن عاصم بن محمد العمري عن أبيه قال: أعطى عبد اللَّه بن جعفر

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية(١/ ٨٨)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣٢)

(٢) رواه أحمد: ح(٢٤٣٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢١٧)

(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، ص(١١٥). وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ح(١٠٨٨٠).

عبد اللَّه بن عمر بنافع عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، فدخل عبد اللَّه على صفية امرأته فقال: إنه أعطاني ابن جعفر بنافع عشرة آلاف درهم أو ألف دينار، فقلت: يا أبا عبد الرحمن فما تنتظر أن تبيع قال: فهلا ما هو من ذلك هو حر لوجه اللَّه، قال: فكان يخيل إلي أن ابن عمر كان ينوي قول اللَّه عز وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1][2].

* **قيس بن سعد بن عبادة** رضي الله عنه:

قال الذهبي في السير: وَجودُ قيسٍ يُضرب به المثل. قال الواقدي: حدثنا ود بن قيس ومالك وطائفة قالوا: بعث رسول اللَّه ﷺ أبا عبيدة في سرية فيها المهاجرون والأنصار، وهم ثلاثمائة، إلى ساحل البحر إلى حي من جُهَيْنة، فأصابهم جوعٌ شديد، فأمر أبو عبيدة بالزاد فجمع حتى كانوا يقتسمون التمرة، فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمراً بجزر؟ يوفيني الجزر ها هنا، وأوفيه التمر بالمدينة، فجعل عمر يقول: يا عجباً لهذا الغلام، يدين في مال غيره! فوجد رجلًا من جُهَيْنة فساومه، فقال: ما أعرفك. قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم، فقال: ما أعَرَفني بنسبك، أما إن بيني وبينك سعد خلة، سيد أهل يثرب. فابتاع منه خمس جزائر، كل جزور بوسق من تمر، وأشهد له نفراً، فقال عمر: لا أشهد، هذا يدين ولا مال له، إنما المال لأبيه. فقال الجهني: واللَّه ما كان سعد ليخْني بابنه في شِقَّةٍ من تمرٍ، وأرى وجهاً حسناً. فنحرها لهم في ثلاث

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان: ح(٤٣٤٢).
(٢) سورة آل عمران الآية (٩٢).

مواطن، فلما كان في اليوم الرابع نهاه أميره، وقال: تريد أن تخرب ذمتك ولا مال لك؟! قال: فحدثني محمد بن يحيى بن سهل عن أبيه عن رافع بن خديج قال: بلغ سعداً ما أصاب القوم من المجاعة فقال: إن يكُ قيس كما أعرف فسوف ينحر للقوم، فلما قدم قصَّ على أبيه، وكيف منعوه آخر شيءٍ من النحر، فكتب له أربع حوائط، أدنى حائط منها يُجَدُّ خمسين وسقاً. فقيل: إن النبي ﷺ لما بلغ له قال: «أما إنه في بيت جُودٍ»[١].

* **الحسن بن علي** رضي الله عنه:

قيل له: من الجواد؟ قال: الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى على نفسه بعد ذلك حقوقاً[٢]

وكان رضي الله عنه يعطي الرجل الواحد مائة ألفٍ[٣].

عن علي رضي الله عنه أنه خطب، وقال: إن الحسن قد جمع مالًا، وهو يريد أن يقسمه بينكم، فحضر الناس، فقام الحسن، فقال: إنما جمعته للفقراء، فقام نصف الناس[٤].

قال أبو هارون: «انطلقنا حجّاجاً، فدخلنا المدينة، فقلنا: لو دخلنا على ابن رسول اللَّه ﷺ الحسن، فسلمنا عليه، فدخلنا عليه، فحدثناه بمسيرنا وحالنا، فلما خرجنا من عنده بعث إلى كل رجل منا بأربعمائة، فقلنا

(١) سير أعلام النبلاء(٣/ ١٠٥).
(٢) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ، ص(٨٤).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٥٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٣).

للرسول: إنا أغنياء وليس بنا حاجة، فقال: لا تردوا عليه معروفه، فرجعنا إليه فأخبرناه بيسارنا وحالنا فقال، لا تردوا علي معروفي، فلو كنت على غير هذه الحال كان هذا لكم يسيراً، أما إني مزدوكم أن الله يباهي ملائكته بعباده يوم عرفة...»[١].

* **الحسين بن علي** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال سلمة بن عبد اللَّه بن عمر بن أبي سلمة: حدثني ظِئْر[٢] كان لنا قال: قدمت بأباعر لي - عشرين أو ثلاثين بعيراً - ذا المروة، أريد الميرة من التمر، فقيل لي: إن عمرو بن عثمان في ماله، والحسين بن علي في ماله. قال: فجئت عمرو بن عثمان فأمر لي ببعيرين أن يُحمَل لي عليهما، فقال لي قائل: ويلك، ايتِ الحسين بن علي. فقال: ولم أكن أعرفه، فإذا رجل جالس بالأرض حوله عبيده، بين يديه جفنة عظيمة فيها خبز غليظ ولحم، وهو يأكل وهم يأكلون معه، فسلمت، فقلت: واللَّه، ما أرى أن يعطيني هذا شيئاً. فقال: هَلُمَّ فكلْ، فأكلت معه، ثم قام إلى ربيع الماء - مجراه - فجعل يشرب بيديه ثم غسلهما وقال: ما حاجتك؟ فقلت: أمتع اللَّه بك، قدمت بأَبَاعر أُريد المِيرة من هذه القرية، فذُكِرْتَ لي فأتيتك لتعطيني مما أعطاك اللَّه. قال: اذهب فأتني بأباعرك. فجئت بها، فقال: دونك هذا المربد فأوقرها من هذا التمر، فأوقرتها واللَّه ما

(١) تاريخ دمشق (١٣/ ٢٤٨).

(٢) الظئر: أصله: المرضعة غير ولدها ويطلق على زوج مرضعة الشخص. لسان العرب (٤/ ٥١٤)، النهاية (٣/ ٣٤١).

حملتْ. ثم انطلقت فقلت: بأبي وأمي، هذا واللَّه الكرم[١].

* عبيد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم:

إنه أول من فطَّر جيرانه، وأول من وضع الموائد على الطرق، وأول من حيَّا على طعامه، وأول من أنهبه. ومن جوده: أنه أتاه رجلٌ وهو بفناء داره، فقام بين يديه فقال: يا ابن العباس، إنّ لي عندك يداً وقد احتجت إليها. فصعَّد في بصره وصوبه، فلم يعرفه، ثم قال له: ما يدُك عندنا؟ قال: رأيتك واقفاً بزمزم وغلامك يمتحُ لك من مائها، والشمس قد صهرتك، فظللتك بطرف كسائي حتى شربت. قال: إني لأذكر ذلك، وإنه يتردد بين خاطري وفكري، ثم قال لقيّمهِ: ما عندك؟ قال: مائتا دينار وعشرة آلاف درهم، قال: فادفعها إليه، وما أُراها تفي بحق يده عندنا، فقال له الرجل: واللَّه لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرك لكان فيه ما كفاه، فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ثم شفعه بك وبأبيك[٢].

* عبد اللَّه بن جعفر رضي الله عنه:

قال عنه الذهبي في السير: كان كبير الشأن، كريماً، جواداً يصلح للإمامة[٣].

وعن ابن سيرين رحمه الله قال: جلب رجل من التجار سكراً إلى المدينة، فكسد عليه، فبلغ عبد اللَّه بن جعفر، فأمر قَهْرمانه أن يشتريه، وأن ينهبه الناس. قال: الحميدي: سمعت القداح يذكر أنْ رجلًا عرض لعبد اللَّه

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا، ص(١١١).
(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ٢٩٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٦)

وقد خرج من باب بني شيبة فقال: يا ابن الطيار في الجنة، صلني بنفقةٍ أتبلغ بها إلى أهلي، كرّم اللَّه وجهك. قال: فرمى إليه برمانة من ذهبٍ كانت في يديه، فوزنها الرجل فإذا فيها ثلاثمائة مثقال. وعن الشعبي قال: كان لعبد اللَّه بن جعفر على رجلٍ من أهل المدينة خمسون ألفاً، فاستعان عليه بعبيد اللَّه بن عباس في ذلك فقال: قد حططتُ عنه شطرها وأخرته بالشطر الآخر إلى ميسوره. قال فجزاه عُبيد اللَّه خيراً وانصرف، فأتْبعه ابن جعفر رسولًا: إني قد طيّبت له النصف الآخر. ومن جوده أيضاً: أنه أعطى امرأةً مالًا عظيماً. فقيل له: إنها لا تعرفك، وكان يُرضيها اليسير. قال: إن كان يُرضيها اليسير فإني لا أرضى إلَّا بالكثير، وإنْ كانت لا تعرفني فإني أعرف نفسي[1].

* **عدي بن حاتم** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قال ابن عبد ربه: دخل عليه ابن دارة فقال: إني مدحتك، قال: أمسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسن، فإني أكره ألَّا أعطيك ثمن ما تقول؛ لي ألف شاةٍ، وألف درهم، وثلاثة أعبد، وثلاث إماء، وفرسي هذا حَبْس في سبيل اللَّه فامدحني على حسب ما أخبرتك. فقال:

تحن قلوصي في مَعدّ وإنما ... تلاقي الربيعَ في ديارِ بني ثُملْ
وأبقى الليالي من عديّ بن حاتمٍ ... حساماً كَنَصْلِ السيف سُلّ من الحللْ
أبوك جوادٌ لا يشقّ غبارُه ... وأنت جوادٌ ما تَعَذّرُ بالعِللْ

---

(١) مكارم الأخلاق، ص(١٠٨)، وانظر: البداية والنهاية (٩/ ٣٣)، تاريخ دمشق (٢٧/ ٢٨٣).

فإنْ تتقوا شرًّا فمثلكمُ اتّقى وإنْ تفعلوا خيراً فمثلكمُ فعلْ[١]

*** علي بن الحسين رحمهما اللَّه:**

عن سفيان قال: كان علي بن الحسين يحمل معه جراب الخبز على ظهره، فيتصدّق به ويقول: إن الصدقة تُطفئ غضب الربِّ عز وجل[٢].

وكان يقول: ما يسرّني بنصيبي من الذُّلّ حُمْر النَّعم[٣].

*** أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

قال الوصّافي: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي يوماً فقال لنا: يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو قال: في كيسه يأخذ حاجته قال: قلنا: لا، قال: ما أنتم بإخوان[٤].

*** موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا بلغه عن الرجل ما يكره - يعني من الحاجة - بعث إليه بُصرَّة من الدنانير، وكانت صِرارُه ما بين الثلاثمائة إلى المائتئ دينار، فكانت صراره مثلًا بالمدينة[٥].

كانت هذه صور مشرقة للآل والأصحاب رضوان اللَّه عليهم تبين مدى

---

(١) العقد الفريد(١/ ٣٠٩).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية: (٣/ ١٣٦).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية: (٣/ ١٣٧). وانظر: سير أعلام النبلاء، (٤/ ٣٩٥).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان: ح(١٠٨٧٩).

(٥) تاريخ الخطيب (١٣/ ٢٧) ومقاتل الطالبيين: (١/ ١٣١).

جمعهم بين خصلة الكرم كخلق متأصل في نفس العربي، وله صلة وثيقة بالبر، والإحسان، والإنفاق في سبيل اللَّه تعالى.

فالعرب أمة سخاء وكرم، لكنه في كثير من أحيانه كان يعد طبعاً وخلقاً، فلما جاء الإسلام رتب عليه الأجر العظيم، فجعله باباً من أبواب الجنة.

وعند النظر في هذه المواقف يزداد الإجلال والحب لأولئك العظماء الذين كانوا يتسابقون ببذل كل ما يستطيعون أحياناً وكثير منه في أحيانٍ أخرى.

إن بعضهم لا يغمض له جفن إن كثر ماله، ليس لذهن مشغول بالسعي في جمع المال وكنزه دون مراعاة لحق اللَّه تعالى فيه، وإنما لقلب مليء إيماناً، ويقيناً، فهو يفكر كيف يخرجه في سبيل اللَّه عز وجل.

وليس هذا بغريب من قوم يرون أنهم وأموالهم ملك للَّه تعالى، وأن حبسه عما أمر اللَّه تعالى موجب لمحقه، وذهاب بركته، وسرعة نفاده، فياليت كثيراً من الأغنياء يعلمون!

* * *

حياء الآل والأصحاب

الحياء خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق، وعلى حسب حياة القلب، يكون خلق الحياء.

ومن عظيم صفات ربنا سبحانه الموصوف بأوصاف الجمال، والمنعوت بنعوت الجلال أنه حيي كريم.

روى البيهقي في السنن الكبرى: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه حيي كريم، يستحي أن يرفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»[(١)].

وفي سنن أبي داود من حديث يعلى بن أمية رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله: «وأما حياء الرب تعالى من عبده، فذاك نوع آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال، فإنه تبارك وتعالى حيي كريم، يستحي من عبده أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام»[(٣)].

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى: ح(٢٩٦٥).

(٢) رواه أبو داود في السنن: ح(٤٠١٢) وصححه الألباني.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٦١).

فاللَّه سبحانه مع كمال غناه عن خلقه، من كرمه يستحي من هتك العاصي، وفضيحته، وإحلال العقوبة به، فيقيض له أسباب الستر، ويعفو عنه، ويغفر له، ويتحبب إليه بالنعم، ويستحيي ممن مد إليه يديه سائلًا متذللًا أن يردهما خائبتين.

يا خجلة العبد من إحسان سيده   يا حسرة القلب من ألطاف معناه
فكم أسأت وبالإحسان قابلني   واخجلتي وحيائي حين ألقاه
يا نفس كم بخفي اللطف عاملني   وقد رآني على ما ليس يرضاه
يا نفس كم زلة زلت بها قدمي   وما أقال عثاري ثم إلا هو
يا نفس توبي إلى مولاك واجتهدي   وصابري فيه إيقاناً برؤياه

ومن استحيا من الناس أن يروه بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد، فلا يضيع فريضة، ولا يرتكب خطيئة، لعلمه بأن اللَّه يرى، وأنه لابد أن يقرره يوم القيامة على ما عمله، فيخجل ويستحي من ربه.

روى أحمد في المسند عن ابن مسعود ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «استحيوا من اللَّه حق الحياء» قالوا: فإنا نستحيي يا رسول اللَّه. قال: «ليس ذاكم، ولكن من استحي من اللَّه حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك قد استحيا من اللَّه حق الحياء»(١).

وقد كان رسول اللَّه ﷺ آية في الحياء، فقد روى البخاري ومسلم عن

(١) رواه أحمد: ح(٣٦٧١) ورواه الترمذي في السنن: ح(٢٤٥٨) وحسنه الألباني.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً كرهه، عرفناه في وجهه»(١).

وانظر إلى حيائه صلى الله عليه وآله وسلم مع ربه، ففي صحيح البخاري عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه في خبر فريضة الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج، وتردد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين ربه، وموسى عليه السلام، ليسأل ربه التخفيف في الصلاة حتى جعلها اللَّه خمساً، فقال له موسى عليه السلام: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك» قال: «سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم»(٢).

قال أبو دهبل الجمحي يمدح رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم:

إن البيوت معادن فنجاره ... ذهب وكل بيوته ضخم
عُقِمَ النساء فلم يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عُقْمُ
متهلل بـ نعم، بـ لا متباعد ... سيَّان منه الوفر والعُدم
نَزْرُ الكلام من الحياء تخالُه ... ضمناً وليس بجسمه سُقْمُ(٣)

ولقد أدب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آله وأصحابه - رضوان اللَّه عليهم - خير أدب، فكانوا أعظم الناس حياءً بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام.

كانوا يستحيون من اللَّه حق الحياء، فكفوا عن الحرام، وحفظوا سرائرهم كحفظهم علانيتهم.

---

(١) رواه البخاري: ح(٦١٠٢)، ومسلم: ح(٢٣٢٠).
(٢) رواه البخاري: ح(٤٦٥٣)، ومسلم: ح(١٦٢).
(٣) ديوان الحماسة لأبي تمام (٢/ ٥٢٤).

وكانوا يستحيون من الرسول ﷺ فكانوا لا يرمونه بأبصارهم، ولا يديمون النظر في وجهه إجلالًا له. وكانوا يستحيون فيما بينهم حتى ضربوا أروع الأمثلة في جمال الأدب وبهاء الأخلاق وسلامة الظاهر ونقاء السرائر.

إن الحياء من الإيمان جاء به لفظ النبي وخير كله فيه
فليتصف كل من يرعى مشاهده وليس يعرف هذا غير منتبه
مستيقظ غير نوام ولا كسل مراقب قلبه لدى تقلبه
إن الحيّ من أسماء اللَّه وقد جاء التخلق بالأسماء فاحظ به[1]

* عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول اللَّه ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول اللَّه ﷺ. وسوى ثيابه - قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدث. فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك! فقال: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة»[2].

* عثمان بن مظعون رضي الله عنه:

أتى عثمان بن مظعون رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: إني لا أحب أن ترى امرأتي

(١) رواه مسلم: ح(٢٤٠١).
(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٣/ ٤٢٧).

قال محمد بن يزيد: عريتي وقال يعلى بن عبيد: عورتي، قال رسول اللَّه ﷺ: ولم؟ قال: أستحيي من ذلك وأكرهه، قال: إن اللَّه جعلها لك لباساً وجعلك لها لباساً وأهلي يرون عورتي وأنا أرى ذلك منهم، قال: أنت تفعل ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: نعم، قال: فمن بعدك، فلما أدبر قال رسول اللَّه ﷺ إن ابن مظعون لحييٌ ستيرٌ(١).

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:

قال أبو موسى رضي الله عنه: إني لأغتسل في البيت المظلم، فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي؛ حياءً من ربيّ عزّ وجل(٢).

الأشج بن عبد قيس رضي الله عنه:

روى البخاري في الأدب المفرد عن أشج عبد القيس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن فيك لَخُلُقَيْنِ يحبهما اللَّه»، قلت: ما هما؟ قال: «الحلم والحياء»، قلت: قديماً كانا أو حديثاً؟ قال: «قديماً، قلت: الحمد للَّه الذي جبلني على خُلقين أحبهما اللَّه(٣).

بمثل هذه الروائع ومثلها جملت أخلاق الآل والأصحاب، فإن الحياء من أحسن ما تزين به العبد من حلة، ولذا كان محبوباً عند العرب في رجالهم ونسائهم، فإذا رأوا انتهاكاً له، وعبثاً به وبغيره ذموا صاحبه ؛ لأنهما ستار

---

(١) رواه ابن سعد (٣/ ٢٨٧).

(٢) رواه ابن سعد (٤/ ٨٤).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد: ح(٥٨٤) وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد: صحيح.

واق من الانغماس في الرذيلة والشين.

إن النقول السابقة تدلنا على قيمة الحياء وبخاصة من المولى تعالى عند الآل والأصحاب.

وهل يجمل الحياء إلّا من اللَّه؟!

إنهم وهم في خلواتهم يحققون معنى الحياء من اللَّه تعالى، فمن كان هذا حياؤه من ربه، فكيف حياؤه من البشر؟!

أليس كثيراً من أبناء هذا الزمان بحاجة إلى الاتصاف بهذه الصفة، والاقتداء بهؤلاء السلف في زمن غاب عند البعض مفهوم الحياء، ومعنى المروءة، وشاع الاتصاف برذائل الأخلاق، والانشغال بسفاسف الأمور.

نسأل اللَّه الصلاح والتوفيق لنا ولهم. اللَّهم آمين.

❋ ❋ ❋

حرص الآل والأصحاب على العلم

مراتب السعادة والفلاح لكل عبد إنما تكون بهمة ترقّيه وترغبه في الوصول إلى المراتب العليا، أو بعلم يبصره ويهديه ويجنبه مضلات الفتن ومزالق المحن.

وحري بالسائر إلى اللَّه- تعالى - أن تعلو همته، ويسمو قصده، ليكون في منأى عن حضيض الطبع والخلق.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

وقد عظم اللَّه سبحانه شأن العلم، ورغب فيه، ورفع من قدر أهله. قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

ولم يأمر اللَّه جل وعلا رسوله ﷺ أن يسأله المزيد في شيء كما سأله المزيد في العلم، فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٨).
(٢) سورة العنكبوت الآية (٤٩).
(٣) سورة طه الآية (١١٤).

وفي فضل العلم، وأهله يقول النبي ﷺ: «إن اللّه وملائكته، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»(١).

وروى الترمذي في السنن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»(٢).

وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغي به علماً سلك اللّه به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر»(٣).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس(٤).

قال سابق البربري:

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلى سواد الظلمة القمر

---

(١) رواه الطبراني في الكبير: ح(٧٨٣٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ح(٨٧٣٦) والترمذي في سننه: ح(٢٦٨٥) وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود في سننه: ح(٣٦٤٣) وصححه الألباني، وابن حبان في صحيحه: ح(٨٨).

(٤) مفتاح دار السعادة: ابن القيم، (١/ ٦١).

وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها ولا البصير كالأعمى ماله بصر

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا ينال العلم إلا بهجر اللذات، وتطليق الراحة. قال ابراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعم، ومن آثر الراحة فاتته الراحة، فما لصاحب اللذات؟! وما لدرجة الأنبياء؟!

فدع عنك الكتابة لست منها ولو لطخت وجهك بالمداد

فإن العلم صناعة القلب وشغله، فما لم تتفرغ لصناعته وشغله لم تنله، ومن لم يغلب لذة إدراكه العلم وشهوته على لذة جسمه وشهوة نفسه لم ينل درجة العلم أبداً[١].

ولعظيم شأن العلم فإن كثيراً من السلف كانوا يبذلون فيه النفس، والنفيس، ويتحملون فيه كل المشاق، فالمكارم موطنة بالمكاره، والسعادة لا يعبر إليها إلا على جسر المشقة، فلا تقطع مسافتها إلا في سفينة الجد والاجتهاد.

قال يحيي بن أبي كثير: «لا ينال العلم براحة الجسد»[٢].

ومن نظر في سير آل البيت والصحابة رضوان اللّٰه عليهم وجد أنهم من أحرص الناس على العلم، وأكثرهم اجتهاداً في نيله وقضاء إربهم منه.

وقد تنوعت مواقفهم المعبرة عن حب العلم، والتعلق فيه، فهذا يعظم

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٢).

(٢) انظر: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، إبراهيم بن موسى الشهير بالبرهان الأبناسي، (١/ ٤٠٤).

العلم، ويجل أهله، ويقف عنده فلا يتجاوزه، وثان يلازم خطام ناقة آخر إكراماً لسابق فضله، وعلمه، وثالث يبيت عند باب غيره ليستفيد منه، ورابع يرحل من أجل حديث واحد مئات الكيلومترات.

إنه العشق الذي يقصر دونه كل عشق، والهمة التي لا يذوق حلاوتها إلا الكبار.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام.

فدونك - حفظك اللَّه - هذه المواقف الرائقة، والقصص الفائقة في حب العلم، والسعي في تحصيله من تراث آل البيت والصحابة.

*** عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :**

روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كنت أنا وجار لي من الأنصار، في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك»[١].

*** معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :**

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «معاذ بن جبل، أمام العلماء يوم القيامة برتوة»[٢].

وقال عمر بن الخطاب: «لو استخلفت معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فسألني عنه

---

(١) رواه البخاري: ح(٨٩).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن كعب مرسلًا وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٨٠).

ربي عز وجل: ما حملك على ذلك؟ لقلت: سمعت نبيك ﷺ يقول: «إن العلماء إذا حضروا ربهم كان معاذ بين أيديهم رتوة الحجر»[١].

وروي عن معاذ لما حضرته الوفاة أنه قال: اللَّهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»[٢].

وإن أردت أن تعرف علو همة معاذ مقدام العلماء في تحصيل العلم، فانظر كم سنُّه يوم إسلامه، وكم سنُّه يوم وفاته، ومكانته في العلم!!

قال الذهبي رحمه الله: «قال عطاء: أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة»[٣].

*** عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه:**

عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر، فقال: يا غلام، هل من لبن؟ قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟ فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: أقلص، فقلص قال: ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول اللَّه، علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي، وقال:

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح: (١/ ٢٢٨).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية: (١/ ٢٣٩).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤٥).

يرحمك اللَّه، إنك غليم معلم[(١)].

وزاد أحمد في رواية أخرى: قال ابن مسعود رضي الله عنه: فلقد أخذت من فيه ﷺ سبعين سورة، ما نازعني فيها بشر[(٢)].

وروى البخاري عن شقيق بن سلمة قال: خطبنا عبد اللَّه بن مسعود، فقال: واللَّه لقد أخذت من في رسول اللَّه ﷺ بضعاً وسبعين سورة، واللَّه لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من أعلمهم لكتاب اللَّه، وما أنا بخيرهم.

قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت راداً يقول غير ذلك[(٣)].

* **أبو ذر الغفاري رضي الله عنه:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ بمكة، قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل، الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتني». فانطلق الآخر حتى قدم مكة وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، كلاماً ما هو بالشعر، فقال أبو ذر: ما شفيتني فيما أردت! فتزود وحمل شنة له فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس

---

(١) رواه أحمد: ح(٣٥٩٨) وحسَّن الشيخ شعيب إسناده.
(٢) رواه أحمد: ح(٣٥٩٩)، والطبراني في الكبير: ح(٨٣٧٧).
(٣) فتح الباري (٧/١٢٨).

النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركهُ - يعني الليل- فاضطجع، فرآه علي رضي الله عنه فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قُرَيْبته وزاده إلى المسجد، فظل ذلك اليوم ولا يرى النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي، فقال: ما أنى للرجل أن يعلم منزله؟ فأقامه، فذهب به معه، ولا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه علي معه، ثم قال له: ألا تحدثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني، فعلت، ففعل، فأخبره، فقال: فإنه حق، وهو رسول اللَّه ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإن رأيت شيئاً أخاف عليك، قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي، ففعل، فانطلق يقفوه، حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه...»[(١)].

*** أبو الدرداء رضي الله عنه:**

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: مات النبي ﷺ، ولم يجمع القرآن إلا أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[(٢)].

ولا يفهم أحد من هذا أنه ما جمع القرآن غير هؤلاء الكرام، قال ابن عبد البر: إنما أراد أنس بهذا الحديث الأنصار، ولقد جمع القرآن من

---

(١) رواه مسلم: ح (٢٤٧٤).

(٢) رواه البخاري: ح(٤٧١٨). وأبو زيد الوارد في الرواية رجل من الأنصار. (الطبقات: ٢/ ٣٥٦) وفي الاستيعاب: (٣/ ٢٩٣) أنه قيس بن السكن الأنصاري الخزرجي وغلبت عليه كنيته.

المهاجرين جماعة منهم: علي وعثمان وابن مسعود، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وسالم مولى أبي حذيفة[١].

وروى ابن عساكر عن يزيد بن عميرة قال: «لما حضرت معاذاً الوفاة، قالوا: أوصنا، فقال: العلم والإيمان مكانهما، من ابتغاهما وجدهما - قالها ثلاثاً - فالتمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وسلمان، وابن مسعود، وعبد اللَّه بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم»[٢].

*** أبو هريرة رضي الله عنه:**

قال أبو هريرة: «يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث واللَّه الموعد ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرءاً مسكيناً، ألزم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون. . .»[٣].

وقال ابن عمر مخاطباً أبا هريرة: كنت ألزمنا لرسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأعلمنا بحديثه[٤].

وقال الذهبي: «كان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة»[٥].

---

(١) راجع: الاستيعاب (٣/ ١٢٩٣) - أسد الغابة: (٤/ ٢١٦).

(٢) ابن عساكر (١٣ / ٣٧٣).

(٣) رواه البخاري: ح(٢٢٢٣).

(٤) جزء من رواية لأحمد: رقم (٦١٦٧) وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٥) سير أعلام النبلاء: (٢/ ٥٩٤).

عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ قلت: أسألك أن تعلمني مما علمك اللَّه، فنزع نمرة كانت على ظهري، فبسطها بيني وبينه، حتى كأني أنظر إلى القمل يدب عليها، فحدثني، حتى إذا استوعبت حديثه، قال: اجمعها فصرها إليك، فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني»(١).

* **عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما:**

عن عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت في بيت خالتي ميمونة، فوضعت للنبي ﷺ وضوءاً، فقال: من وضع هذا؟ فقالت ميمونة: وضعه عبد اللَّه، فقال: اللَّهم علمه التأويل وفقهه في الدين(٢).

وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل(٣) وكان يقول: نعم ترجمان القرآن ابن عباس(٤).

وقال ابن عمر: وهو- أي ابن عباس- أعلم الناس بما أنزل اللَّه على محمد ﷺ.

وعن أبي وائل: قرأ ابن عباس سورة النور، ثم جعل يفسرها، فقال

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية(١/ ٣٨١). من طريق ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٧/ ٣٢٩) وأوردها الذهبي في السير بذكر النمل بدل القمل. سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٩٤).
(٢) رواه الطبراني في الكبير: ح(١٠٤٣٥).
(٣) رواه الحاكم في المستدرك: ح(٦٢٨٩) وابن أبي شيبة في المصنف: ح(٣٢٢١٩).
(٤) رواه الحاكم في المستدرك: ح(٦٢٩١) وابن أبي شيبة في المصنف: ح(٣٢٢٢٠).

رجل: «لو سمعت هذا الديلم لأسلمت»[١].

وصح عن علي أنه قال فيه: «ويح ابن أم الفضل، إنه لغواص على الهنات»[٢].

وعن ابن عباس قال: لما قبض رسول اللَّه، ﷺ، قلت لرجل من الأنصار هلم فلنسأل أصحاب رسول اللَّه، ﷺ، فإنهم اليوم كثير، قال: فقال: واعجبا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من فيهم؟ قال: فتركت ذلك وأقبلت أسأل أصحاب رسول اللَّه، ﷺ، عن الحديث، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي التراب، فيخرج فيراني فيقول لي: يا ابن عم رسول اللَّه ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك! فأسأله عن الحديث، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني![٣].

* جابر بن عبد اللَّه الأنصاري رضي الله عنه :

قال جابر بن عبد اللَّه: «بلغني عن رجل من أصحاب النبي ﷺ حديث سمعه من رسول اللَّه ﷺ، فاشتريت بعيراً، ثم شددت رحلي، فسرت إليه

(١) أورده ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٧٩). وقال: أورده أبو نعيم وصحح إسناده.
(٢) رواه البيهقي في الكبرى: ح(١٦٦٣٦).
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات(٢/ ٣٦٧).

شهراً، حتى قدمت الشام، فإذا هو عبد اللَّه بن أنيس، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال: ابن عبد اللَّه؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول اللَّه ﷺ، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة غرلًا بُهماً، قلنا: وما بُهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة. قال: قلنا: كيف هو، وأنا إنما نأتي اللَّه تعالى عراة غرلًا بُهماً؟! قال: بالحسنات والسيئات»(١).

* **أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه:**

قال عطاء بن أبي رباح «خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول اللَّه ﷺ، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وهو أمير مصر، فأخبر به، فعجل، فخرج إليه، فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ، لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة به، فعجل فخرج إليه، فعانقه، وقال: ما

---

(١) رواه أحمد: ح(١٦٠٤٢) والبخاري في الأدب المفرد ح(٩٧٠).

جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن. قال: نعم، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من ستر مؤمناً في الدنيا على خزيه ستره اللَّه يوم القيامة» فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر»[١].

هذا غيض من فيض مما جاء عن الآل والأصحاب في حب العلم، والحرص عليه.

لقد عاشوا في كنف النبي ﷺ أعظم معلِّم عرفته البشرية، فكانوا ينشغلون أحياناً عن مصالحهم حباً فيما يخرج من فمه الطاهر ﷺ من نور الوحي والرسالة.

إنهم يرمقونه بأبصارهم، ويتبعون حركات شفتيه، ويجمعون قلوبهم، ينتظرون قوتاً تحيى به قلوبهم، وزاداً يطعمون به أرواحهم.

فقوت الروح أرواح المعاني وليس بأن طعمت ولا شربت

ما معنى أن يبيت أحدهم عند باب دار الآخر ليحدثه بحديث سمعه؟!

ما معنى أن يرحل أحدهم من أجل حديث واحد فقط؟!

ما معنى أن يأخذ القرشي بخطام من دونه لما عنده من علم؟!

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر: (١/ ٩٣). وإسناده ضعيف لجهالة أبي سعد الأعمى. (اتحاف الخيرة: ١/ ٥٠). ورواه أحمد من طريق آخر بإسناد منقطع: المسند، ح(١٧٤٩٠).

ما معنى أن يبيت أحدهم طاوياً، فلا يفكر بطعام بل في العلم؟!

كرر علي حديثهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

وهم مع هذا كله جمعوا مع العلم عملًا يطبقون من خلاله ما تعلموه، ويصلحون به علاقتهم بخالقهم وبأنفسهم وبمن حولهم.

فما فائدة العلم إذا لم يقتض عملًا يصلح به العبد علاقته مع ربه ومع نفسه وغيره؟

نسأل اللَّه لنا جميعاً علماً نافعاً، وعملًا صالحاً.

* * *

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الآل والأصحاب

من أهم المهمات وأفضل القربات التناصح والتوجيه إلى الخير، والتواصي بالحق والصبر عليه، والتحذير مما يخالفه ويغضب اللَّه عز وجل، ويباعد من رحمته.

ولذا فقد شرع اللَّه عز وجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعله من آكد الواجبات في الدين، وقد دلت الأدلة المتضافرة من الكتاب والسنة على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٢).

وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه - أي أمعاؤه - فيدور في النار كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: مالك يا فلان؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠).

قال: فيقول لهم: بلى ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[(١)].

هذه حال من خالف فعلُه قوله - نعوذ باللَّه - تسعّر به النار، ويُفضح على رؤوس الأشهاد، يشاهده أهل النار، ويتعجبون كيف يلقى في النار. هذا ويدور في النار كما يدور الحمار بالرحى، وتندلق أقتاب بطنه، يسحبها، لماذا؟

لأنه كان يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه.

فعلم بذلك أن المقصود الأمر بالمعروف مع فعله، والنهي عن المنكر مع تركه، وهذا هو الواجب على كل مسلم، وهذا الواجب العظيم أوضح اللَّه شأنه في كتابه الكريم، ورغَّب فيه، وحذَّر من تركه، ولعن من تركه.

فالواجب على أهل الإسلام أن يعظموه، وأن يبادروا إليه، وأن يلتزموا به طاعة لربهم عز وجل، وامتثالاً لأمره، وحذراً من عقابه سبحانه وتعالى.

وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[(٢)].

فبين ﷺ مراتب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الثلاث:

المرتبة الأولى:

الإنكار باليد مع القدرة، وذلك بإراقة أواني الخمر، وكسر آلات اللَّهو،

---

(١) رواه مسلم: ح(٢٩٨٩).

(٢) رواه مسلم: ح(٤٩).

ومنع مَن أراد الشر بالناس وظلمهم من تنفيذ مراده إن استطاع ذلك كالسلطان ونحوه من أهل القدرة.

وهكذا المؤمن مع أهله وولده، يلزمهم بأمر اللَّه ويمنعهم مما حرم اللَّه باليد إذا لم ينفع فيهم الكلام.

وهكذا من له ولاية من أمر أو محتسب، أو شيخ قبيلة أو غيرهم ممن له ولاية من جهة ولي الأمر، أو من جهة جماعته، حيث ولوه عليهم، عند فقد الولاية العامة يقوم بهذا الواجب حسب طاقته، فإن عجز انتقل إلى:

المرتبة الثانية:

وهي اللسان، يأمرهم باللسان وينهاهم، ويعاملهم بالأسلوب الحسن، مع الرفق. يقول ﷺ: «إن اللَّه يحب الرفق في الأمر كله»[(١)].

ويقول النبي ﷺ: «إن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ولا نزع من شيء قط إلا شانه»[(٢)]. فإن عجز انتقل إلى:

المرحلة الثالثة:

إذا عجز المؤمن عن الإنكار باليد واللسان انتهي إلى القلب، يكره المنكر بقلبه، ويبغضه ولا يكون جليساً لأهله.

وروي عن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه أنه قال له بعض الناس: هلكت إن لم آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. فقال له رضي الله عنه: هلكت إن لم يعرف قلبك

---

(١) رواه البخاري: ح(٦٩٢٧)، (٦٠٢٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه: ح(٢٤٨٠)، وصححه الألباني.

المعروف وينكر المنكر»[١].

وهذه بعض مواقف الآل والأصحاب رضي الله عنهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

*** عبادة بن الصامت الخزرجي رضي الله عنه :**

عن قبيصة بن ذؤيب، أن عبادة أنكر على معاوية شيئاً، فقال: لا أساكنك بأرض، فرحل إلى المدينة، قال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره بفعل معاوية، فقال له: ارحل إلى مكانك، فقبح اللَّه أرضاً لست فيها وأمثالك، فلا إمرة له عليك[٢].

*** أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه :**

عن محمد بن كعب قال: كان أبو أيوب يخالف مروان، فقال: ما يحملك على هذا؟ قال: إني رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يصلي الصلوات، فإن وافقته وافقناك، وإن خالفته خالفناك[٣].

وعن سالم بن عبد اللَّه بن عمر قال: أعرست، فدعا أبي الناس، فيهم أبو أيوب، وقد ستروا بيتي بجنادي أخضر، فجاء أبو أيوب فطأطأ رأسه، فنظر فإذا البيت مستر، فقال: يا عبد اللَّه، تسترون الجدر؟ فقال أبي واستحيا: غلبنا النساء يا أبا أيوب، فقال: من خشيت أن تغلبه النساء،

---

(١) البدع: ابن وضاح (١/ ٢٨٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٧).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات. مجمع الزوائد: (٢/ ٨٣)، ح(٢٣٤٦).

فلم أخش أن يغلبنك، لا أدخل لكم بيتاً، ولا أكل لكم طعاماً[١].

*** أبو هريرة رضي الله عنه :**

قام أبو هريرة رضي الله عنه إلى مروان بن الحكم وقد أبطأ بالجمعة، فقال له: أتظل عند ابنة فلان تروحك بالمرواح وتسقيك الماء البارد، وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر! لقد هممت أن أفعل وأفعل. ثم قال: اسمعوا من أميركم[٢].

*** أبو ذر رضي الله عنه :**

عن الأوزاعي: حدثني أبو كثير، عن أبيه، فقال: أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى، وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأتاه رجل، فوقف عليه، فقال: ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ فرفع رأسه، ثم قال: أرقيب أنت علي! لو وضعتم الصمصامة[٣] على هذه - وأشار بيده إلى قفاه - ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها[٤].

*** صحابي يقتل من سبَّت النبي صلى الله عليه وآله وسلم :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر. قال: فلما كانت ذات ليلة، جعلت

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٤٠٨). والجنادي الأخضر: جنس من الأنماط أو الثياب تُستر بها الجدران. (النهاية ١/٣٠٦).

(٢) العقد الفريد (١/ ٥٥).

(٣) سيف مشهور في العرب ينسب إلى عمرو بن معد يكرب فيقال: صمصامة عمرو.

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٦٤).

تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول - حديدة - فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح، ذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ، فجمع الناس فقال: «أنشد اللَّه رجلاً فعل ما فعل، لي عليه حق، إلا قام». فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل، حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه: أنا صاحبها، كانت تشتمك، وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر»[1].

* **ابن عباس** رضي الله عنهما:

أثناء الحرب التي دارت بين علي ومعاوية، خرج فريق كفَّر علياً ومعاوية، وجاءوا بأمور لم تكن معروفة من قبل، وذهب ابن عباس إليهم ليوضح الحق، ويكشف الشبهة.

قال الشاطبي في الاعتصام: حكى ابن عبد البر بسندٍ يرفعه إلى ابن عباس، قال: لما اجتمعت الحرورية يخرجون على علي جعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا، فلما كان ذات يوم قلت: يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم فدخلت عليهم وهم قائلون، فإذا هم مسهمة وجوههم من السهر، قد أثر

---

(١) سنن أبي داود: ح(٤٣٦١)، رواه النسائي في المجتبى: ح (٤٠٧٠).

السجود في جباههم، كأن أيديهم ثفن الإبل، عليهم قمص مرحضة (المرحضة: المغسولة)، فقالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة التي عليك؟ قال: قلت: ما تعيبون من ذلك؟ فلقد رأيت رسول اللَّه ﷺ وعليه أحسن ما يكون من الثياب اليمنية. قال: ثم قرأت هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾[1]، فقالوا: ما جاء بك؟ قال: جئتكم من عند أصحاب رسول اللَّه وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول اللَّه ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم. فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً، فإن اللَّه يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[2]، فقال بعضهم: بلى فلنكلمه. قال: فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة. قال: قلت: ماذا نقمتم عليه؟ قالوا: ثلاثاً. فقلت: ما هن؟ قالوا: حكم الرجال في أمر اللَّه، وقال اللَّه تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[3]. قال: قلت: هذه واحدة، وماذا أيضا؟ قالوا: فإنه قاتل، فلم يسب، ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين، ما حلّ قتالهم، ولئن كانوا كافرين، لقد حلّ قتالهم وسبيهم. قال: قلت: وماذا أيضاً؟ قالوا: ومحا نفسه من إمرة المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين. قال: قلت: أرأيتم إن أتيتكم من كتاب اللَّه وسنة رسوله بما ينقض قولكم هذا، أترجعون؟ قالوا: وما لنا لا نرجع!! قال: قلت: أما قولكم: «حكم

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣٢).
(٢) سورة الزخرف الآية (٥٨).
(٣) سورة الأنعام الآية (٥٧).

الرجال في أمر اللَّه»، فإن اللَّه قال في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[1].

وقال في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾[2]، فصير اللَّه ذلك إلى حكم الرجال، فناشدتكم اللَّه، أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين، وفي إصلاح ذات بينهم أفضل، أو في دم أرنب ثمنه ربع درهم، وفي بضع امرأة؟ قالوا: بلى، هذا أفضل. قال: أخرجتم من هذه؟ قالوا: نعم. قال: وأما قولكم: «قاتل ولم يسب، ولم يغنم»، أتسبون أمكم عائشة؟! فإن قلتم: نسبيها، فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم: ليست بأمنا. فقد كفرتم، فأنتم ترددون بين ضلالتين، أخرجتم من هذه؟ قالوا: بلى. قال: وأما قولكم: «محا نفسه من إمرة المسلمين»، فأنا آتيكم بمن ترضون، إن نبي اللَّه ﷺ يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، قال رسول اللَّه ﷺ: «اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول اللَّه»، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول اللَّه، ولو نعلم أنك رسول اللَّه، ما قاتلناك. قال رسول اللَّه ﷺ: «اللَّهم إنك تعلم أني رسولك، يا علي اكتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد اللَّه وأبو سفيان وسهيل بن عمرو»[3].

---

(١) سورة المائدة الآية (٩٥).

(٢) سورة النساء الآية (٣٥).

(٣) الاعتصام للشاطبي (٢/ ١٨٧).

*** أبو بكرة رضي الله عنه :**

قال عبد العزيز بن أبي بكرة: إن أباه تزوج امرأة فماتت، فحال إخوتها بينه وبين الصلاة عليها، فقال: أنا أحق بالصلاة عليها. قالوا: صدق صاحب رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم. ثم إنه دخل القبر فدفعوه بعنف، فغشي عليه، فحمل إلى أهله، فصرخ عليه عشرون من ابن وبنت، وأنا أصغرهم، فأفاق، فقال: لا تصرخوا، فو اللَّه ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي. ففزع القوم، وقالوا: لم يا أبانا؟ قال: إني أخشى أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر، وما خير يومئذ[١].

من أعظم صفات العالم الرباني أن ينشر ما عَلِمه من علم، ويبثه بين الناس، ويقيم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان الآل والأصحاب يعرفون مدى أهمية هذه الفريضة التي يستقيم بها حال البلاد والعباد.

وعند النظر في هذه المواقف نجد أن ما اتصفوا به من علم شرعي، وحكمة، وعقل أَهَّلهم للقيام بهذه العبادة.

فلا يمكن أن يتحقق المقصود من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر دون اتصاف بعلم وحكمة، وإلا فإن الأمر سيفسد ولا يصلح، ويقبح ولا يحسن.

وكثير من هذه المواقف تبين لنا حرص الآل والأصحاب على ذكر الدليل،

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧).

مع قوة الحجة، وحسن الإيراد، فلا يتركون لذي مقال مقالًا.

فما أحوجنا اليوم لدراسة فقه الآل والأصحاب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لئلا نحجب الناس عن الطريق الحق، والهدي المستقيم، واللَّه المستعان.

* * *

دعوة الآل والأصحاب إلى اللَّه تعالى

الدعوة إلى اللَّه تعالى أحسن كلمة تقال على الأرض، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

والدعوة إلى اللَّه وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فما من نبي إلا ودعا إلى اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مقام الدعوة إلى اللَّه أشرف مقامات العبد(٣).

وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو بآية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثاً، وتبليغ سنته ﷺ إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو.

روى البخاري ومسلم قول النبي ﷺ لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لئن يهدي اللَّه بك رجلًا واحداً خير لك من حمر النعم»(٤).

---

(١) سورة فصلت الآية (٣٣).
(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٥).
(٣) جلاء الأفهام لابن القيم، ص(٢٤٩).
(٤) رواه البخاري: ح(٢٧٨٣).

وفي صحيح مسلم قال النبي ﷺ: من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً[١].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الدعوة إلى اللَّه واجبة على من اتبع النبي ﷺ، وهم أمته يدعون إلى اللَّه كما دعا إلى اللَّه، وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة. . . .، وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية، وكل واحدٍ من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز، لم يطالب به. وأما ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه، فعليه أن يقوم به، ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على هذا[٢].

كل وسيلة أمر بها اللَّه سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ أو وفق اللَّه إليها المسلمون في أي عصر من عصورهم، فهي وسيلة مشروعة ما لم يأت في الشرع ما يحرمها، فالأصل في هذه الوسائل الإباحة، وقد تجب الوسيلة إذا كانت مما لا يقوم الواجب إلا به كما هو مقرر في أصول الفقه (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

فإذا وجب قتال الكفار ودفعهم، ولم يمكن ذلك إلا بسلاح يمكن المسلمين من دفعهم وجب تحصيل هذا السلاح واستعماله.

---

(١) رواه مسلم: ح(٢٦٧٤).

(٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية (١٥ / ١٦٥).

وهكذا الأمر في رد الشبهات، وإنكار المنكرات و إبلاغ دين اللَّه إلى العالمين، فكل وسيلة لم يأت الشرع بتحريمها بعينها، فهي مشروعة من أجل القيام بهذه الواجبات.

وأعظم وسيلة للدعوة إلى اللَّه هي: تعلَّم القرآن وتعليمه، ونشره، فهو الكتاب المعجز الذي لا يمحوه الماء وهو الذي قال فيه رسول اللَّه ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه اللَّه إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»(١).

فكثرة اتباع الرسول ﷺ إنما مرده إلى هذا القرآن الذي يقطع العذر، ويدمغ الباطل، ينفذ إلى القلوب ويدمع العين ويحيي موات القلوب، وينير البصائر. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢). فالعناية بكتاب اللَّه حفظاً وفقهاً وتعليماً، ونشراً وترجمة لمعانيه من أكبر أسباب الهداية ونشر الإسلام في العالمين. وقد أمرنا اللَّه أن نجاهد به الكفار فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾(٣).

إعلاء منزلة الرسول ﷺ في الأمة، ونشر كتب السنة:

الوسيلة الثانية من الوسائل العظمى في الدعوة إلى اللَّه هي إعلاء منزلة

(١) رواه البخاري: ح(٤٦٩٦).
(٢) سورة الشورى الآية (٥٢).
(٣) سورة الفرقان الآية (٥١-٥٢).

رسول اللَّه ﷺ في الأمة، ونشر كتب السنة، ورفعه ليكون هو الأسوة والقدوة لكل مسلم. فلا يجوز أن يخلو بيت مسلم من أصل من الأصول الصحيحة لحديث رسول اللَّه ﷺ وبخاصة صحيحي البخاري ومسلم اللذين هما أصح كتابين بعد كتاب اللَّه سبحانه وتعالى.

فالعناية بنشر صحيح السنة وتعليمها، والتفقه فيها، وتدريس سيرة رسول اللَّه ﷺ، وجعله ماثلًا للعيان أمام كل مسلم ليقتدي به في حركاته وسكناته في إيمانه ويقينه وصبره، وجهاده، وعبادته، بل في سمته، وهديه، ومخرجه ومدخله.

هذه العناية بالسنة علماً ونشراً هي من أبلغ وسائل الدعوة إلى اللَّه سبحانه وتعالى.

وفقنا اللَّه وإياكم لخدمة دينه.

*** أبو بكر الصديق رضي الله عنه:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثين رجلًا، ألحّ أبو بكر الصديق على رسول اللَّه ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر، إنا قليل». فلم يزل أبو بكر الصديق يلحّ حتى ظهر رسول اللَّه ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، كل رجل في عشيرته؛ وقام أبو بكر في الناس خطيباً، ورسول اللَّه ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى اللَّه وإلى رسول اللَّه ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، وَوُطِئَ

أبو بكرٍ، وضُرِب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عُتبه بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين، ويُحرفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر، وحملتْ بنو تيم أبا بكرٍ في ثوبٍ حتى أدخلوه منزله، ولا يشكُّون في موته، حتى رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد، وقالوا: واللَّه لئن مات أبو بكر، لنقتُلنَّ عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تميم يكلِّمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلم آخر النهار فقال: ما فعل رسول اللَّه ﷺ فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأُمّه أُمَّ الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول اللَّه ﷺ؟ فقالت: واللَّه ما لي عِلمٌ بصاحبك. فقال: اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه، فخرجت حتى جاءت أم جميل، فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد اللَّه؟ فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد اللَّه، وان كنت تحبّين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم، فمضتْ معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً - مريضاً - فدنت أُمُّ جميل وأعلنت بالصّياح وقالت: واللَّه إن قوماً نالوا هذا منك لأهْلُ فسق وكُفر، وإني لأرجو أن ينتقم اللَّه لك منهم. قال: فما فعل رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: هذه أُمك تسمع. قال: فلا شيء عليكِ منها. قلت: سالمُ صالحُ. قال: أين هو؟ قالت: في دار الأرقم. قال: فإن للَّه عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً، أو آتي رسول اللَّه ﷺ. فأمهلتا حتى إذا هدأتِ الرَّجْل وسكن الناسُ، خرجتا به يتّكئ عليهما حتى أدخلتاه على رسول اللَّه ﷺ. قال: فأكبَّ عليه رسول اللَّه فقَّبله، وأكبَّ عليه

المسلمون، ورقّ له رسول اللَّه ﷺ رقّةً شديدة. فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول اللَّه، ليس بي بأسُ إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أُمّي بَرةُ بولدها، وأنت مبارَكُ فادْعها إلى اللَّه، عسى أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول اللَّه ﷺ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمتْ، أقاموا مع رسول اللَّه ﷺ في الدار شهراً، وهم تسعة وثلاثون رجلًا[١].

*** عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه:**

عن عروة بن الزبير قال: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول اللَّه ﷺ عبد اللَّه ابن مسعود فللّه دّره[٢].

*** علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

عن البراء أن رسول اللَّه ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم إن رسول اللَّه ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن يُقفِل خالداً، إلا رجلًا كان ممن مع خالدٍ، فأحب أن يعقب مع علي، فليعقب معه. قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم، خرجوا إلينا، ثم تقدم فصلّى بنا عليٌّ، ثم صفَّنا صفّاً واحدا ً ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول اللَّه ﷺ فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي إلى

(١) حياة الصحابة للكاندهلوي (١/ ٢٥٩).
(٢) سير أعلام النبلاء(١/ ٤٦٦).

رسول اللَّه ﷺ بإسلامهم. فلمّا قرأ رسول اللَّه ﷺ الكتاب خرَّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان! السلام على همدان![١].

* عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه :

في الإصابة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: «تجهَّزْ فإني باعثك في سرية». فذكر الحديث، وفيه: فخرج عبدالرحمن بن عوف حتى لحق بأصحابه، فسار حتى قدم دومة الجندل، فلما دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي رضي الله عنه وكان نصرانياً وكان على رأسهم. فكتب عبد الرحمن بن عوف مع رجل من جُهينة - يقال له رافع بن مكيث إلى النبي ﷺ يخبره، فكتب إليه النبي ﷺ: أنْ تزّوج ابنة الأصبغ، فتزوّجها، وهي تماضر التي ولدت له بعد ذلك أبا سلمة بن عبد الرحمن[٢].

* مصعب بن عمير رضي الله عنه :

قال البراء بن عازب: «أوَّل من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أُمّ مكتوم، وكانوا يقرئان الناس»[٣].

سبحان اللَّه! ما منع العمى ابن أُمّ مكتوم عن الدعوة إلى اللَّه والخروج من مكة إلى المدينة لتعليم الناس.

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ١٠٥).
(٢) الاصابة لابن حجر (١/ ١٠٨).
(٣) رواه البخاري: ح(٣٧١٠).

بعث رسول اللَّه ﷺ مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار المدينة ؛ ليعلمهم كتاب اللَّه، فنزل بني غنم، على أسعد بن زرارة يحدثهم ويقص عليهم القرآن، فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ، يدعو ويهدي اللَّه على يديه، حتى قلّ دارُ من دور الأنصار إلّا أسلم فيها ناس لا محالة، وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو بن الجموح، وكسرت أصنامُهم، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول اللَّه ﷺ، وكان يُدعى المقرئ[١].

* **عروة بن مسعود** رضي الله عنه :

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: لما أتى الناس الحج سنة تسعٍ، قدم عروة ابن مسعود الثقفي عم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه على رسول اللَّه ﷺ فاستأذن رسول اللَّه ﷺ أن يرجع إلى قومه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إني أخاف أن يقتلوك». قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني. فأذن له رسول اللَّه ﷺ، فرجع إلى قومه مسلماً، فقدم عشاءً فجاءته ثقيف، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وعصوه وأسمعوه ما لم يكن يحتسب، ثم خرجوا من عنده حتى إذا أسحروا وطلع الفجر قام عروة في داره فأذن بالصلاة وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهمٍ فقتله. فقال: رسول اللَّه ﷺ: «مثل عروة مثل صاحب ياسين، دعا قومه إلى اللَّه تعالى فقتلوه»[٢].

---

(١) حلية الأولياء: أبو نعيم (١/ ١٠٧).

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ح(١٤٠٦٢) وأخرجه الحاكم في المستدرك: ح(٦٥٧٩) وقال الحافظ الهيثمي في المجمع: (٩/ ٣٧٧) رواه الطبراني، وروى عن الزهري نحوه وكلاهما مرسل، وإسنادهما حسن.

*** ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه :**

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقدم علينا، فأناخ بعيره على باب المسجد، فعقله ثم دخل على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في المسجد جالس مع أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم «أنا ابن عبد المطلب». قال: محمد؟ قال: نعم، قال: يا محمد إني سائلك ومغلظُ عليك في المسألة، فلا تجدن علَّي في نفسك، فإني لا أجد في نفسي، قال: سل عما بدا لك. قال: أنشدك اللَّه إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك، آللَّه بعثك إلينا رسولًا، قال: اللَّهم نعم، قال: أنشدك اللَّه إلهك وإله من قبلك وإله من هو كائن بعدك آللَّه أمرك أن نعبده ولا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأوثان والأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللَّهم نعم. ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة. الصلاة والزكاة والصيام والحج وفرائض الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضةٍ كما أنشده في التي كان قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأنك عبد اللَّه ورسوله، وسأُؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف راجعاً إلى بعيره، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم حين ولى: إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة، وكان ضمام رجلًا جلد أشعر ذا غديرتين، ثم أتى بعيره، فأطلق عقاله حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به وهو يسب اللات والعزى، فقالوا: مه يا ضمام، اتق البرص والجذام والجنون، قال: ويلكم، إنهما واللَّه لا

يضران ولا ينفعان، إن اللَّه قد بعث رسولًا، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً عبده ورسوله، وإني قد جئتُكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فو اللَّه ما أمسى ذلك اليوم من حاضرته رجلُ ولا امرأةُ إلا مسلماً، قال ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة[١].

* عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه:

لما ارتد بنو طيئ وانضموا إلى جيش المتنبئ طليحة بن خويلد الأسدي، دعاهم عدي بن حاتم رضي الله عنه إلى الإسلام بأمر من الصديق رضي الله عنه، وذلك قبل بدء القتال معهم، فعادوا بفضل اللَّه مع عدي رضي الله عنه إلى خالد رضي الله عنه مسلمين، وكانوا خمسمائة مقاتل. كما دعا عدي بن حاتم رضي الله عنه بني جديلة، الذين كانوا قد انضمّوا أيضاً إلى المتنبئ طليحة الأسدي، فاستجابوا لعدي رضي الله عنه، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب[٢].

* أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه:

قام أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بدعوة الروميين إلى الإسلام قبل بدء القتال معهم، فذهب بنفسه، ومعه يزيد بن أبي سفيان وضرار بن الأزور والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل رضي الله عنهم، وكان ذلك قبل معركة اليرموك. كما دعا أبو عبيدة رضي الله عنه الرسول الرومي الذي وفد إليه من قبل ماهان - وزير

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ح(٤٣٨٠) وصححه الذهبي.
(٢) تاريخ الطبري(٣/ ٢٥٣).

ملك الروم - طالباً منه إرسال خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ماهان كي يتفاهم معه، وشرح اللَّه صدره للإسلام، فاستجاب لدعوة أبي عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصاح: اشهدوا عليَّ بأجمعكم أني من المسلمين. ففرح المسلمون بإسلامه وصافحوه، ودعوا له بخير، وقالوا له: ما أعزَّك علينا، وأرغبنا فيك، وأكرمك علينا! وما أنت عند كل امرئ إلا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه قال الرومي: فإنكم نعم ما رأيت[١].

حمل الآل والأصحاب - رضوان اللَّه عليهم - همَّ دين اللَّه عز وجل، فلم يكتفوا بالعلم، وأداء العمل المقصور خيره عليهم، كالصلاة، والصيام، والحج، بل تعدى ذلك إلى ما كان نفعه متعدياً إلا غيره كالدعوة إلى اللَّه تعالى.

إن هذه المواقف تحكي لنا قدر الدين في قلوب الآل والأصحاب، فقد جهروا بالإسلام منذ فجر الدعوة، ثم امتثلوا أمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الهجرة لتبليغ دين اللَّه عز وجل.

لقد شهد حجة الوداع مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر من مائة وعشرين ألف رجل وامرأة، ودفن في البقيع أقل من ذلك بكثير، والباقي قد ضمتهم أراضي مشارق الأرض ومغاربها.

فمنهم من خرج مجاهداً، ومنهم من خرج داعياً، ومبلغاً دين اللَّه سبحانه.

---

(١) انظر: فتوح الشام للأزدي، ص(١٩٨).

وقد رأينا أن كثيراً منهم أدى زكاة إسلامه، فرحل إلى أهله سريعاً يدعو قومه إلى الإسلام.

فلنكن على مثل ما كانوا عليه، ندرك ما أدركوا من الخير.

* * *

جهاد الآل والأصحاب

الجهاد في سبيل اللَّه من أفضل القربات و الطاعات، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون، وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض، وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر المؤمنين وإعلاء كلمة الدين، وقمع الكافرين والمنافقين، وتسهيل انتشار الدعوة الإسلامية بين العالمين، وإخراج العباد من الظلمات إلى النور، ونشر محاسن الإسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين.

وقد ورد في فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يحفز الهمم العالية، ويحرك كوامن النفوس إلى المشاركة في هذا السبيل، والصدق في جهاد أعداء رب العالمين، وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، وقد يكون في بعض الأحيان من الفرائض العينية التي لا يجوز للمسلم التخلف عنها إلا بعذر شرعي، كما لو استنفره الإمام أو حصر بلده العدو أو كان حاضراً بين الصفين.

والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة، ومما ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[١].

وفي هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الإيمان باللَّه ورسوله، والجهاد في سبيله هما التجارة العظيمة المنجية من العذاب الأليم يوم القيامة.

ففي ذلك أعظم ترغيب، وأكمل تشويق إلى الإيمان والجهاد، ومن المعلوم أن الإيمان باللَّه ورسوله يتضمن توحيد اللَّه، وإخلاص العبادة له سبحانه، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم، ويدخل في ذلك الجهاد في سبيل اللَّه؛ لكونه من أعظم الشعائر الإسلامية ومن أهم الفرائض؛ ولكونه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه، وللترغيب فيه؛ لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التي سبق بيان الكثير منها، ثم ذكر سبحانه ما وعد اللَّه به المؤمنين المجاهدين من المغفرة والمساكن الطيبة في دار الكرامة؛ ليعظم شوقهم إلى الجهاد وتشتد رغبتهم فيه، وليسابقوا إليه ويسارعوا في مشاركة القائمين به. وفي هذه الآيات ما يكفي ويشفي ويحفز الهمم ويحرك النفوس إلى تلك المطالب العالية، والمنازل الرفيعة، والفوائد الجليلة، والعواقب الحميدة، واللَّه المستعان.

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) سورة الصف الآية (١٠-١٢).

رباط يوم في سبيل اللَّه خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل اللَّه، أو الغدوة، خير من الدنيا وما عليها[١].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم[٢].

وفي الصحيحين أن رسول اللَّه ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان باللَّه ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل اللَّه. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور[٣].

والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد اللَّه للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية، والثواب الجزيل، وفي الترهيب من ترك الجهاد والإعراض عنه كثيرة جداً، وفي الحديثين الأخيرين وما جاء في معناهما دلالة على أن الإعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملة الربوية من أسباب ذل المسلمين، وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمره والجهاد في سبيله، فنسأل اللَّه أن يمن على المسلمين جميعاً بالرجوع إلى دينه، وأن يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم

---

(١) رواه البخاري: ح(٢٨٩٢).
(٢) سنن أبي داود: ح(٢٥٠٤).
(٣) رواه البخاري: ح(٢٦).

جميعاً للفقه في الدين والجهاد في سبيل رب العالمين حتى يعزهم اللَّه ويرفع عنهم الذل، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآل البيت والصحابة رضوان اللَّه عليهم أحرص الناس بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام على إعلاء كلمة اللَّه تعالى؛ ولذا رفعوا راية الجهاد في مشارق الأرض ومغاربها، وكانوا أشجع الناس، وأجلدهم، وأصبرهم في ساحات الوغى.

فدونك - حفظك اللَّه - شيء من أهازيجهم، وترنيماتهم، وروائعهم في الذب عن حياض الدين.

* **أبو بكر الصديق رضي الله عنه :**

عن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ. قال: بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبي ﷺ، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[1][2].

وفي بدرٍ أيضاً لازم النبي ﷺ وكان معه في عريشه حتى لا يخلص إليه سوء.

---

(١) سورة غافر الآية (٢٨).

(٢) رواه البخاري: ح(٣٤٧٥).

ففي يوم بدر جعل الصحابة لرسول اللَّه ﷺ عريشاً، وقالوا: من يكون مع النبي ﷺ، لئلا يصل إليه المشركون؟ فو اللَّه ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً السيف على رأس رسول اللَّه ﷺ(١).

وثبات قلبه يوم أحد، وقد صرخ الشيطان بأن محمداً ﷺ قد قتل، وثبات قلبه يوم الخندق، ويوم صلح الحديبية، ويوم حنين حين فرَّ الناس ولم يفر.

ولو لم يكن من شجاعته إلا ثبات قلبه، وتثبيته المسلمين عند الخطب الأعظم والأمر الأفخم بموت نبينا ﷺ، إذ زاغت قلوب كثير من الناس، وزلزلوا بموته زلزالًا شديداً، وأقعد بعضهم، وشك آخرون، لكفانا ذلك دليلًا على عظيم شجاعته وقوة قلبه، إذ كان قلبه في تلك النازلة العظمى التي اهتزت لها الدنيا بأجمعها، لو وُزن بقلوب الأمة لرجحها.

وكان عزمه في قتال من ارتد، ولو فرق على قلوب الجبناء من أهل الأرض لشجعهم إلى أن قام بمهمة تقويم قناة الإسلام بعد اعوجاجها، وجرت الملة الشهباء على سننها ومنهاجها، وأذن مؤذن الإيمان (ألا إن حزب اللَّه الغالبون) وتولى حزب الشيطان وهم خاسرون، فتلك - لعمر اللَّه - الشجاعة التي تضاءلت لها فرسان الأمم، والهمة التي تنازلت لها أعالي الهمم، فرضوان اللَّه عليهم أبداً ما شهر بارق، وقهر مارق، وعلى بقية الصحابة أجمعين(٢).

---

(١) رواه البزار في مسنده: ح(٧٦١) وقال الهيثمي في المجمع(٨/ ٣٤٤)، ح: (١٤٣٣٣): رواه البزار وفيه من لم أعرفه.

(٢) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (٢/ ٩٦٥).

* **عمر بن الخطاب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

قال رسول اللَّه ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك»[(١)].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فروا من عمر»[(٢)].

وعن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال: «اللَّهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب» قال: وكان أحبهما إليه عمر[(٣)].

وروى البخاري، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[(٤)].

وعن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أفشى للحديث؟ قالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج إليه وأنا أتبع أثره، أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل، إني قد أسلمت، قال: فو اللَّه ما رد عليه كلمة، حتى قام عامداً إلى المسجد، فنادى أندية قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن الخطاب قد صبأ. فقال عمر: كذب، ولكني أسلمت، وأمنت باللَّه، وصدقت

---

(١) رواه البخاري: ح(٦٠٨٥)

(٢) رواه الترمذي: ح(٣٦٩١).

(٣) رواه الترمذي: ح(٣٦٨١).

(٤) رواه البخاري: ح(٣٨٦٣).

رسوله. فثاوروه، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم، حتى فتر عمر وجلس، فقال: افعلوا ما بدا لكم، فو اللَّه لو كنا ثلاث مائة رجل، لقد تركتموها أو تركناهم لكم. فبينا هم كذلك قيام، إذ جاء رجل عليه حلة حرير، وقميص موشى فقال: ما لكم؟ فقالوا: إن ابن الخطاب قد صبأ. قال: فمه، امرؤ اختار ديناً لنفسه، أفتظنون أن بني عدي تسلم إليكم صاحبهم. قال: فكأنما كانوا ثوباً انكشف عنه. فقلت له بعد بالمدينة: يا أبه، من الرجل الذي رد عنك القوم يومئذ؟ قال: يا بني، ذاك العاص بن وائل[(١)].

ولا يزال التاريخ يذكر لرستم قائد قوات الفرس مقولته الشهيرة: «أكل عمر كبدي، أحرق اللَّه كبده. علم هؤلاء حتى علموا[(٢)].

*** طلحة بن عبيد اللَّه رضي الله عنه :**

قال رسول اللَّه ﷺ قال يوم أحد: أوجب طلحة. وفي رواية: أوجب طلحة حين صنع برسول اللَّه ﷺما صنع»[(٣)].

وعن جابر قال: لما كان يوم أحد، وولى الناس، كان رسول اللَّه ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلًا، منهم طلحة فقال رسول اللَّه ﷺ من للقوم؟ فقال طلحة: أنا. قال: كما أنت. فقال رجل: أنا. قال: «أنت». فقاتل حتى

---

(١) رواه ابن حبان: ح(٦٨٧٩) وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي.
(٢) تاريخ الطبري (٢/٤٠٨).
(٣) رواه أحمد (١/ ١٦٥)، والترمذي: ح(٣٧٣٩).

قتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: «من لهم»؟ قال طلحة: أنا. قال «كما أنت». فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: «أنت». فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبي اللَّه طلحة، فقال: «من للقوم؟» قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه، فقال: «حس». فقال رسول اللَّه ﷺ: «لو قلت: «باسم اللَّه» لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون» ثم رد اللَّه المشركين[1].

*** الزبير بن العوام رضي الله عنه:**

عن عروة بن الزبير قال: كانت على الزبير - يوم بدر - عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير[2].

يقول عامر بن صالح بن عبد اللَّه بن الزبير:

جدي ابن عمة أحمد ووزيره ... عند البلاء وفارس الشقراء
وغداة بدر كان أول فارس ... شهد الوغى في اللامة الصفراء
نزلت بسيماه الملائك نصرة ... بالحوض يوم تألب الأعداء

قال الثوري: نجدة الصحابة: حمزة، وعلي، والزبير.

وعن جابر، قال: قال رسول اللَّه ﷺ يوم الأحزاب: «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا. ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا، ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا، ثم قال: «إن لكل

(١) رواه النسائي في الكبرى: ح(٤٣٥٧).
(٢) رواه الطبراني في الكبير: ح(٢٣). وابن سعد في الطبقات: (٣/١٠٣).

نبي حواريا وأنا حواري الزبير»[١].

وعن ابن الزبير أنه قال له: يا أبه، قد رأيتك تحمل على فرسك الأشقر يوم الخندق. قال: يا بني، رأيتني؟ قال: نعم. قال: فإن رسول اللَّه ﷺ يومئذ ليجمع لأبيك أبويه، يقول: «ارم، فداك أبي وأمي»[٢].

وعن ابن أبي الزناد قال: ضرب الزبير يوم الخندق عثمان بن عبد اللَّه بن المغيرة بالسيف على مغفره، فقطعه إلى القربوس[٣]، فقالوا: ما أجود سيفك! فغضب الزبير، يريد أن العمل ليده لا للسيف[٤].

وعن علي بن زيد: أخبرني من رأى الزبير، وفي صدره أمثال العيون من الطعن والرمي.

وعن عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعي فيها، ضرب ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك.

قال عروة: قال عبد الملك بن مروان، حين قتل ابن الزبير: يا عروة، هل تعرف سيف الزبير؟ قلت: نعم. قال: فما فيه؟ قلت: فلة فلها يوم بدر. فاستله فرآها فيه، فقال: بهن فلول من قراع الكتائب.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢). والراوية في البخاري ح(٣٨٨٧).

(٢) رواه الطبراني في التهذيب: ح(١٤٢٣) وأبو يعلي في مسنده: (٦٧٣) وقال حسين أسد: إسناده صحيح. وانظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢).

(٣) القربوس: مقدم السرج ومؤخره.

(٤) سير أعلام النبيلاء: (١/ ٣٨).

قال علي بن طالب: أشجع الناس: الزبير، ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال[١].

وروى البخاري بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه وهو يكنى أبا ذات الكرش، فقال: أنا أبو ذات الكرش، فحملت عليه بالعنزة فطعنته في عينه فمات. قال هشام فأخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. قال عروة فسأله إياها رسول اللَّه ﷺ فأعطاه، فلما قبض رسول اللَّه ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه، فلما قبض أبو بكر سألها إياه عمر، فأعطاه إياها، فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي فطلبها الزبير فكانت عنده حتى قتل[٢].

وعن عروة أن أصحاب رسول اللَّه ﷺ قالوا للزبير: ألا تشد فنشد معك؟ قال: إني إن شددت كذبتم. فقالوا: لا نفعل فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلًا، فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين، ضربة على عاتقه، بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات، ألعب وأنا صغير. قال:

(١) سير أعلام النبلاء: (١/ ٣٩).

(٢) رواه البخاري: ح(٣٧٧٦). ومعنى: (مدجج) مغطى بالسلاح فلا يظهر منه شيء. و(بالعنزة) هي رمح قصير عريض النصل. و(تمطأت) مددت يدي مداً شديداً. و(فكان الجهد) المشقة العظيمة في نزعها.

وكان معه عبد اللَّه بن الزبير وهو ابن عشر سنين، فحمله على فرس، ووكل به رجلًا[١].

قال الذهبي في السير معلقاً: «هذه الوقعة هي يوم اليمامة إن شاء اللَّه، فإن عبد اللَّه كان إذ ذاك ابن عشر سنين»[٢].

قال ابن كثير: «وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر، وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه، وفي رواية: جرح»[٣].

«ورأى النبي يوم أحد رجلًا يقتل المسلمين قتلًا عنيفاً، فقال «قم إليه يا زبير» فرقي إليه الزبير، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه، فأقبلا يتحدران حتى وقعا إلى الأرض، فوقع الزبير على صدره وقتله. قال سفيان في حديثه: فتلقاه النبي ﷺ فقبله وقال: فداك عم وخال[٤].

---

(١) رواه البخاري: ح(٣٩٧٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٦٢).
(٣) البداية والنهاية (٧/ ١١).
(٤) تاريخ دمشق: (١٨/ ٣٥٩).

قال الزبير رضي الله عنه : «جمع لي رسول اللَّه ﷺ أبويه مرتين: يوم أحد، ويوم قريظة»[(١)].

* **حمزة بن عبد المطلب** رضي الله عنه :

قال رسول اللَّه ﷺ : «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله»[(٢)].

قال ابن إسحاق: لما أسلم حمزة، علمت قريش أن رسول اللَّه ﷺ قد امتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

وكان حمزة رضي الله عنه أول قاتل لأول قتيل من المشركين يوم بدر، فلما «تواجه الفئتان، وتقابل الفريقان، وحضر الخصمان بين يدي الرحمن، واستغاث بربه سيد الأنبياء، وضج الصحابة بصنوف الدعاء إلى رب الأرض والسماء، سامع الدعاء وكاشف البلاء، فكان أول من قتل من المشركين: الأسود بن عبد الأسد المخزومي.

قال ابن إسحاق: وكان رجلًا شرساً سيء الخلق، فقال: أعاهد اللَّه لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد زعم أن تبر يمينه، وأتبعه حمزة

---

(١) الاستيعاب: (٢/ ٥١٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: ح(٤٨٨٤)، وأحمد (٢/ ٨٤)، وابن ماجه: ح(١٥٩١).

فضربه حتى قتله في الحوض»[١].

عن سعد بن أبي وقاص: «كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أحد بين يدي رسول اللَّه ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد اللَّه»[٢].

وعن جابر بن عبد اللَّه قال: فقد رسول اللَّه ﷺ يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال، قال: فقال رجل: رأيته عند تلك الشجرة وهو يقول: «أنا أسد اللَّه وأسد رسوله»[٣].

وعند البخاري من قول وحشي: «خرج سباع فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال: يا سباع، يا ابن أم نمار مقطعة البظور، أتحاد اللَّه ورسوله ﷺ؟ قال: ثم شد عليه، فكان كأمس الذاهب»[٤].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «لولا جزع النساء لتركته حتى يحشر من حواصل الطير وبطون السباع»[٥].

*** البراء بن مالك بن النضر رضي الله عنه:**

قال ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على اللَّه

---

(١) البداية والنهاية (٣ / ٢٧٢).
(٢) رواه الحاكم (٣/ ١٩٤)، وابن سعد (٣/ ٦١).
(٣) رواه الحاكم في المستدرك: ح(٢٥٥٧).
(٤) صحيح البخاري: ح(٤٠٧٢).
(٥) رواه ابن ماجه (١٥١٣) والحاكم: ح(٤٨٩٥).

لأبره، منهم البراء بن مالك»[١].

قال الذهبي: قيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء الجيش: لا تستعملوا البراء على جيش، فإنه مهلكة من المهالك، يقدم بهم. وبلغنا أن البراء يوم حرب مسيلمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتملوه على ترس على أسنة رماحهم ويلقوه في الحديقة، فاقتحم إليهم وشد عليهم، وقاتل حتى افتتح باب الحديقة، فجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً، ولذلك قام خالد بن الوليد عليه شهراً يداوي جراحه»[٢].

لك اللَّه يا براء، تجادل صناديد الشرك بمفردك في حديقة الموت، حتى تفتح بابها، واللَّه ما عقمت أمة أنجبتك.

«وقد اشتهر أن البراء قتل في حروبه مائة نفس من الشجعان مبارزة. وعن ابن سيرين قال: قال الأشعري- يعني في حصار تستر- للبراء ابن مالك: إن قد دللنا على سرب يخرج إلى وسط المدينة، فانظر نفراً يدخلون معك فيه، فقال البراء لمجزأة بن ثور: انظر رجلًا من قومك طريفاً جلداً فسمه لي، قال: ولم؟ قال: لحاجة. قال: فإني أنا ذلك الرجل، قال: دللنا على سرب، وأردنا أن ندخله. قال: فأنا معك، فدخل مجزأة أول من دخل، فلما خرج من السرب شدخوه بصخرة، ثم خرج الناس من السرب،

---

(١) سير أعلام النبلاء(١/ ١٩٧) ورواه الحاكم في المستدرك باختلاف يسير: ح(٥٢٧٤) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٦).

فخرج البراء فقاتلهم في جوف المدينة، وقتل رضي الله عنه وفتح اللَّه عليهم»[١].

*** جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه :**

أول من عقر فرسه في الإسلام.

قال رجل من بني مرة بن عوف: لكأني أنظر إلى جعفر يوم «مؤتة» حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل حتى قتل.

قال جعفر بعدما عقر جواده:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها علي أن لاقيتها ضرابها

عن محمد بن عمر بن علي قال: «ضربه رومي فقطعه نصفين، فوجد في نصفه بضعة وثلاثون جرحاً»[٢].

وروى البخاري بسنده عن ابن عمر قال: أمر رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد اللَّه بن رواحة». قال عبد اللَّه: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعا وتسعين، من طعنه ورمية[٣].

وعن ابن عمر قال: جمعت جعفراً على صدري يوم مؤتة، فوجدت في

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ١٩٧).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٢١٠).
(٣) رواه البخاري: ح(٤٠١٣).

مقدم جسده بضعاً وأربعين من بين ضربة وطعنة[١].

وفي البخاري عن ابن عمر: أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل، فعددت به خمسين، بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره، يعني ظهره[٢].

*** عبد اللَّه بن رواحة بن ثعلبة رضي الله عنه:**

لما جهَّز النبي ﷺ إلى مؤتة الأمراء الثلاثة، فقال: «الأمير: زيد، فإن أصيب فجعفر، فإن أصيب فابن رواحة»[٣]

قال عروة بن الزبير: لما تجهز الناس وتهيئوا للخروج إلى مؤتة، قال للمسلمين: صحبكم اللَّه، ودفع عنكم. قال عبد اللَّه بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة   وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة   بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولون إذا مروا على جدثي   أرشدك اللَّه من غاز وقد رشدا

قال: ثم مضوا حتى نزلوا بأرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلي، وفي مائة ألف فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا نكتب لرسول اللَّه ﷺ فنخبره بعدد عدونا. قال: فشجع عبد اللَّه بن رواحة الناس، ثم قال: واللَّه يا قوم، إن الذي تكرهون للذي

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢١٠).
(٢) رواه البخاري: ح(٤٠١٢).
(٣) راجع: المعجم الكبير: ح(١٩٩).

خرجتم له، تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدة ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا اللَّه به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد - واللَّه - صدق ابن رواحة. فمضى الناس[١].

وفي رواية لوليد بن مسلم: استشار زيد أصحابه - في شأن قتال الروم بجموعهم -، فقالوا: قد وطِئْتَ البلاد، وأَخَفْتَ أهلها. فانصرِف، وابن رواحة ساكت، فسأله، فقال: إنا لم نسر لغنائم ولكنا خرجنا للقاء، ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عدة، والرأي: المسير إليهم[٢].

وعن زيد بن أرقم قال: كنت يتيماً لعبد اللَّه بن رواحة في حجره، فخرج في سفرته تلك مردفي على حقيبة راحلته، فواللَّه إنا لنسير ليلة، إذ سمعته يتمثل بأبياته هذه:

إذا أدنيتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وآب المسلمون وغادروني ... بأرض الشام مشتهي الثواء
وردك كل ذي نسب قريب ... إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعتهن بكيت، قال: فخفقني بالدرة. وقال: ما عليك يا لكع أن

(١) رواه أبو نعيم في الحلية: (١/ ١١٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٠).

يرزقني اللَّه الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل[١].

ولما قتل زيد وجعفر أخذ ابن رواحة الراية ثم تقدَّم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه، ويتردد بها بعض التردد، ثم قال:

أقسمت بالله لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة ما لي أراك تكرهين الجنه
قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تُقتلي تموتي هذا حمام الموت قد لقيت
وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت
وإن تأخرت فقد شقيت

ثم نزل فلما نزل، أتاه ابن عم له بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لاقيت من أيامك هذه ما قد لقيت. فأخذه من يده، ثم انتهش، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، فقاتل حتى قتل رضي الله عنه[٢].

* **أبو دجانة الأنصاري رضي الله عنه:**

كان أبو دجانة رضي الله عنه مثالًا حياً للشجاعة والإقدام فقد ثبت يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبايعه على الموت، وهو ممن شارك في قتل مسيلمة

(١) حلية الأولياء (١/ ١٢٠).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٣٩). البداية والنهاية (٤/ ٢٤٣).

الكذاب، ثم استشهد يومئذ.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. قال: «فمن يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه، ففلق به هام المشركين[١].

«قال ابن إسحاق: قاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس. قال ابن هشام: حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام قال: وجدت في نفسي حين سألت رسول اللَّه ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة، وقلت: أنا ابن صفية عمته ومن قريش، وقد قمت إليه وسألته إياه قبله، فأعطاه أبا دجانة وتركني، واللَّه لأنظرن ما يصنع، فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف اللَّه والرسول

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان في المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه، فدعوت اللَّه أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتقاه بدرقته، فعضت

---

(١) رواه مسلم: ح(٢٤٧٠).

بسيفه، وضربه أبو دجانة فقتله»[١].

*** ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي رضي الله عنه:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس»[٢].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مررت يوم اليمامة بثابت بن قيس بن شماس وهو يتحنط فقلت: يا عم أما ترى ما يلقى المسلمون، أي وأنت ههنا. قال: فتبسم ثم قال: الآن يا ابن أخي، فلبس سلاحه وركب فرسه حتى أتى الصف، فقال: أف لهؤلاء ولما يصنعون، وقال للعدو: أف لهؤلاء ولما يعبدون، خلوا عن سبيله أو قال: سننه، يعني فرسه، حتى أصلي بحرها، فحمل فقاتل حتى قتل[٣].

*** نعيم بن مالك بن ثعلبة رضي الله عنه:**

قال في يوم أحد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا نبي اللَّه، لا تحرمنا الجنة، فو الذي نفسي بيده لأدخلنها. فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «بم؟» قال: بأني أحب اللَّه ورسوله، ولا أفر يوم الزحف. فقال له رسول اللَّه «صلى الله عليه وآله وسلم: «صدقت». واستشهد يومئذ[٤].

---

(١) البداية والنهاية: (٤/ ١٧).

(٢) رواه الترمذي: ح(٣٧٩٧).

(٣) رواه البيهقي في الكبرى: ح(١٨٣٧٧).

(٤) البداية والنهاية (٤/ ١٣).

* **عبد اللَّه بن عمرو بن حرام** رضي الله عنه :

روى الحاكم بسنده عن عبد اللَّه بن حرام قال: رأيت في النوم قبل أحد كأني رأيت مبشر بن عبد المنذر يقول لي: أنت قادم علينا في الأيام فقلت: وأين أنت؟ قال: في الجنة تسرح فيها كيف تشاء. قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى ثم أحييت، فذكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «هذه الشهادة يا أبا جابر»[١].

وعن جابر أن أباه قال له: إني معرض نفسي للقتل[٢].

وروى البخاري عن جابر قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولًا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك، غير نفس رسول اللَّه ﷺ وإن علي ديناً فاقض، واستوص بأخواتك خيراً، فأصبحنا فكان أول قتيل.

قال جابر: لما قتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه، وأبكي، وجعل أصحاب رسول اللَّه ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظللّه بأجنحتها حتى رفعتموه»[٣].

وعن جابر قال: قال لي رسول اللَّه ﷺ: «ألا أخبرك أن اللَّه كلم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدي، سلني أعطك. قال: أسألك أن تردني إلى

---

(١) المستدرك : ح(٤٩١٥).

(٢) فتح الباري (٣/ ٢٥٦).

(٣) رواه البخاري: ح(١٢٤٤)، ومسلم: ح(٢٤٧١).

الدنيا، فأقتل فيك ثانياً. فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب، فأبلغ من ورائي. فأنزل اللَّه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[١][٢].

* سعد بن الربيع رضي الله عنه :

ذكر ابن عبد البر أنه «لما كان يوم أحد قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟ «فقال رجل من الأنصار: أنا. فخرج يطوف في القتلى، حتى وجد سعداً جريحاً مثبتاً بآخر رمق، فقال: يا سعد، إن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم أمرني أن أنظر: أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟! قال: فإني في الأموات، فأبلغ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم السلام، وقل: إن سعداً يقول: جزاك اللَّه عني خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك مني السلام، وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند اللَّه إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف»[٣].

وفي الطبقات: عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد أنه قال: لما كان يوم أحد قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: من يأتيني بخبر سعد بن الربيع؟ فقال رجل: أنا يا رسول اللَّه. فذهب الرجل يطوف بين القتلى، فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك؟ قال: بعثني رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، لآتيه بخبرك، قال: فاذهب إليه فأقرئه مني السلام وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وأن قد أنفذت مقاتلي،

(١) سورة آل عمران الآية (١٦٩).
(٢) رواه الترمذي: ح(٣٠١٣).
(٣) الاستيعاب (٤/ ١٤٥).

وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند اللَّه إن قتل رسول اللَّه وأحد منهم حي[(١)].

* **المقداد بن عمرو، فارس بدر رضي الله عنه:**

روى البخاري عن عبد اللَّه بن مسعود - قال: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً، لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾[(٢)]، ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يديك وخلفك. فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشرق وجهه وسره[(٣)].

وعند ابن إسحاق: «أن المقداد قال: يا رسول اللَّه، امض لما أراك اللَّه، فنحن معك لا نقول لك كما قال قوم موسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم خيراً ودعا له»[(٤)].

* **أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه:**

قال فيه رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل»[(٥)].

---

(١) طبقات ابن سعد(٣/ ٢).
(٢) سورة المائدة الآية (٢٤).
(٣) رواه البخاري: ح(٣٧٣٦).
(٤) البداية والنهاية (٣/ ٢٦١).
(٥) رواه الحاكم: ح(٥٥٠٣) وصححه، وقال الذهبي في التلخيص: رواته ثقات على شرط مسلم.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: لصوت أبي طلحة في الجيش أشد على المشركين من فئة»[١].

وعن أنس: أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يتترس به وكان رامياً، وكان إذا رمى رفع رسول اللَّه ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه ويرفع أبو طلحة صدره ويقول: هكذا بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك، وكان أبو طلحة يسوق نفسه بين يدي رسول اللَّه ﷺ ويقول: إني جَلد يا رسول اللَّه، فوجهني في حوائجك ومرني بما شئت[٢].

وروى البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم أحد، انهزم الناس عن رسول اللَّه ﷺ، وأبو طلحة بين يديه مُجوِّب عليه بحَجْفه، وكان أبو طلحة رجلًا رامياً شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة. وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل فيقول ﷺ: «انثرها لأبي طلحة». قال ويشرف النبي ﷺ إلى القوم، فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك[٣].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلًا فله سلبه». فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلًا، وأخذ أسلابهم»[٤].

---

(١) رواه أحمد: ح(١٣١٢٧) وقال الشيخ شعيب: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٢) رواه أحمد: ح(١٤٠٩٠) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٣) رواه البخاري: ح(٣٨٣٧).
(٤) رواه أبو داود في سننه: ح(٢٧١٨).

* عمرو بن الجموح بن زيد الخزرجي رضي الله عنه :

عن جابر رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «يا بني سلمة، من سيدكم؟». قالوا: الجد بن قيس، وإنا لنبخله. قال: «وأي داء أدوى من البخل؟! بل سيدكم: الجعد الأبيض عمرو بن الجموح»[١].

وأخرج أحمد من حديث أبي قتادة قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أرأيت إن قاتلت في سبيل اللَّه حتى أقتل، أأمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ - وكانت رجله عرجاء - فقال رسول اللَّه ﷺ: «نعم». فقتلوا يوم أحد: هو، وابن أخيه، ومولى له. فمرّ رسول اللَّه ﷺ فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة». فأمر رسول اللَّه ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد[٢].

* عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه :

لما كان يوم اليرموك، تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو أن ينشئا القتال، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البراز، وتنازل الأبطال وتجاولوا، وحمي الحرب وقامت على ساق. فنادى عكرمة: «قاتلت رسول اللَّه ﷺ، في كل موطن، وأفر منكم اليوم؟! من يبايع على الموت؟ فبايعه أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فبايعه عمه

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ح(٢٩٦).

(٢) رواه أحمد: ح(٢٢٦٠٦) وحسَّنه الحافظ في الفتح (٣/ ١٧٣) وحسَّنه الشيخ شعيب. وقال الحافظ الهيثمي في المجمع: (٩/ ٢٨٤) ح: (١٥٧٤٦) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة.

الحارث ابن هشام، وضرار بن الأزور، فاستبسلوا وقاتلوا قدام فسطاط خالد، حتى أثبتوا جميعاً جراحاً. . . وأتي خالد بعد ما أصبحوا بعكرمة جريحاً، فوضع رأسه على فخذه، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه، وجعل يمسح عن وجوههما، ويقطر في حلوقهما الماء(١).

فرضي اللَّه عن شهيد اليرموك عكرمة، والذي قال فيه ابن كثير: يقال: إنه لا يعرف له ذنب بعد ما أسلم(٢).

* أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه :

كانت آخر غزواته حين جهز معاوية جيشاً بقيادة ابنه «يزيد» لفتح القسطنطينية، وكان أبو أيوب آنذاك شيخاً طاعناً في السن يحبو نحو الثمانين من عمره، فلم يمنعه ذلك من لقاء العدو، ولكنه لم يمض غير قليل على منازلة العدو، حتى مرض أبو أيوب مرضاً أقعده، فأتاه يزيد يعوده، فقال: حاجتك؟ قال: نعم، حاجتي إذا أنا مت فاركب بي، ثم سغ بي في أرض العدو ما وجدت مساغاً، فإذا لم تجد مساغاً، فادفني ثم ارجع، فلما مات ركب به، ثم سار به في أرض العدو وما وجد مساغاً، ثم دفنه. ثم رجع وكان أبو أيوب يقول: قال اللَّه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾(٣)، لا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً(٤).

---

(١) تاريخ الطبري: (٢/ ٣٣٨).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٣٤).
(٣) سورة التوبة الآية (٤١).
(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٤).

وعند ابن سعد: عن أبي ظبيان، قال: أغزى أبو أيوب فمرض، فقال: إذا مت فاحملوني، فإذا صافقتم العدو، فارموني تحت أقدامكم. أما إني سأحدثكم بحديث سمعته من رسول اللَّه ﷺ، سمعته يقول: «من مات لا يشرك باللَّه شيئاً دخل الجنة»[١].

* عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنه:

عن عثمان بن طلحة قال: كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة: شجاعة، ولا عبادة، ولا بلاغة»[٢].

وشهد عبد اللَّه معركة اليرموك الحاسمة مع أبيه، فلما انهزم الروم يوم اليرموك، جعل يجهز على جرحاهم[٣].

وقاتل يوم الدار دفاعاً عن عثمان، فجرح بضعة عشر جرحاً غائرة[٤].

يقول رجل من أهل حمص، يصف يوم ابن الزبير الأخير، قال: «رأيته يوم الثلاثاء، وإنا لنطلع عليه، أهل حمص خمسمائة خمسمائة، من باب ندخله لا يدخله غيرنا، فيخرج إلينا وحده في أثرنا، ونحن منهزمون منه... ولقد رأيته يقف بالأبطح، ما يدنو منه أحد، حتى ظننا إنه لا يقتل»[٥].

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٤٨٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٧٠).
(٣) تهذيب ابن عساكر (٧/ ٣٩٦).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ٣٣٦).
(٥) تاريخ الطبري (٥/ ٣٢).

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما

ولما قتل وقف عليه الحجاج وطارق بن عمرو، فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا. فقال الحجاج: تمدح من يخالف أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، هو أعذر لنا، ولولا هذا ما كان لنا عذر، إنا محاصروه، وهو في غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ سبعة أشهر، ينتصف منا، بل يفضل علينا في كل ما التقينا نحن وهو. فبلغ كلامهما عبد الملك، فصوب طارقاً»[١].

*** عبد اللَّه بن الزبير بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:**

هو عبد اللَّه بن الزبير بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن مسلمة الفتح.

لما توفي رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان لهذا نحو من ثلاثين سنة.

قال أبو الحويرث: أول من قتل يوم أجنادين بطريق برز يدعو إلى البراز، فبرز إليه عبد اللَّه بن الزبير بن عبد المطلب، فاختلفا ضربات، ثم قتله عبد اللَّه، ثم برز آخر، فضربه عبد اللَّه على عاتقه، وقال: خذها وأنا ابن عبد المطلب. فأثبته وقطع سيفه الدرع، وأشرع في منكبه، ثم ولى الرومي منهزماً.

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٣).

«وعزم عليه عمرو بن العاص أن لا يبارز، فقال: لا أصبر. فلما اختلطت السيوف، وجد في ربضة من الروم عشرة مقتولًا، وهم حوله، وقائم السيف في يده قد غري- أي لزق-، وإن في وجهه لثلاثين ضربة».

قال الواقدي: فحدثت بهذا الزبير بن سعيد النوفلي، فقال: سمعت شيوخنا يقولون: لما انهزمت الروم يومئذ، انطلق الفضل بن عباس في مائة نحواً من ميل، فيجد عبد اللَّه مقتولًا في عشرة من الروم قد قتلهم، فقبروه[١].

* علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

قال علي بن أبي طالب: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة[٢].

وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[٣]. قال: «هم الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة، وعلي، وعبيدة - أو أبو عبيدة - ابن الحارث، وشيبة ابن ربيعة وعتبة، والوليد بن عتبة[٤].

«وعن علي قال: تقدم - يعني عتبة بن ربيعة - وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: من يبارز؟ فانتدب له شباب من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٨١).
(٢) رواه البخاري: ح(٣٩٦٥).
(٣) سورة الحج الآية (١٩).
(٤) رواه البخاري: ح(٣٧٤٧).

لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا». فقال رسول اللَّه ﷺ: «قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة بن الحارث» فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد، فقتلناه واحتملنا عبيدة»[١].

عن ابن إسحاق: قال: كان عمرو بن عبد ود ثالث قريش، وكان قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، و لم يشهد أُحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده فلما وقف هو وخيله، قال له علي: يا عمرو قد كنت تعاهد اللَّه لقريش أن لا يدعو رجل إلى خلتين إلا قبلت منه أحدهما، فقال عمرو: أجل، فقال له علي رضي الله عنه: فإني أدعوك إلى اللَّه عز وجل وإلى رسوله ﷺ والإسلام فقال: لا حاجة لي في ذلك، قال: فإني أدعوك إلى البراز، قال: يا ابن أخي لم؟ فو اللَّه ما أحب أن أقتلك، فقال علي: لكني أحب أقتلك، فحمي عمرو، فاقتحم عن فرسه فعقره ثم أقبل، فجاء إلى علي وقال: من يبارز؟ فقام علي وهو مقنع في الحديد فقال: أنا له يا نبي اللَّه فقال: إنه عمرو بن عبد ود إجلس، فنادى عمرو ألا رجل، فأذن له رسول اللَّه ﷺ فمشى إليه علي رضي الله عنه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز ... ذو نبهة و بصيرة و الصدق منجا كل فائز

إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز ... من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

- أي الحرب والشدة - فقال له عمرو: من أنت؟ قال له: أنا علي، قال:

(١) رواه أبو داود: ح(٢٦٦٧) وصححه الألباني.

ابن من؟ قال له: ابن عبد مناف، أنا علي بن أبي طالب، فقال: عندك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فانصرف فإني أكره أن أهريق دمك، فقال علي: لكني واللَّه ما أكره أن أهريق دمك، فغضب فنزل فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في الدرقة فقدَّها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي رضي الله عنه على حبل العاتق فسقط، وثار العجاج فسمع رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم التكبير فعرف أن علياً قتله، فثم يقول علي رضي الله عنه :

أعلي يقتحم الفوارس هكذا	**عني و عنهم أخروا أصحابي**
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي	**ومصمم في الرأس ليس بنابي**
إلا ابن عبد حين شد إليه	**وحلفت فاستمعوا من الكتاب**
إني لأصدق من يهلل بالتقى	**رجلان يضربان كل ضراب**
فصدرت حين تركته متجدلا	**كالجذع بين دكادك وروابي**
وعففت عن أثوابه ولو أنني	**كنت المقطر يزن أثوابي**
عبد الحجارة من سفاهة عقله	**وعبدت رب محمد بصواب**

ثم أقبل علي رضي الله عنه نحو رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ووجهه يتهلل، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هلا أسلبته درعه فليس للعرب درعاً خيراً منها فقال: ضربته فاتقاني بسوءته واستحييت ابن عمي أن استلبه، وخرجت خيله منهزمة حتى أقحمت من الخندق[١].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ح(٤٣٢٩).

وفي حديث سلمة بن الأكوع في غزوة خيبر: «ثم أرسلني رسول اللَّه ﷺ إلى علي وهو أرمد، فقال: «لأعطين الراية رجلًا يحب اللَّه ورسوله، أو يحبه اللَّه ورسوله». قال: فأتيت علياً فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول اللَّه ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ، وأعطاه الراية، وخرج «مرحب» فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مرجب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

قال: فضرب رأس: «مرحب» فقتله، وكان الفتح على يديه.

ومرحب هذا: فارس فرسان اليهود، وكان مكتوباً على سيفه بالعبرية:

هذا سيف مرحب من يذقه يعطب

فضربه علي فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه، ووقع السيف في الأضراس[١].

* **محمد بن الحنفية** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بعث ملك الروم إلى معاوية بن أبي سفيان برجلين في جيشه يزعم أحدهما أقوى الروم، والآخر أطول الروم، فانظر في قومك من يفوقهما في قوة هذا

(١) رواه مسلم: ح(١٨٠٧).

وطول هذا؟ فإن كان من قومك من يفوقهما بعثت لك من الأسارى كذا وكذا، ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن في جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادني ثلاث سنين، فلما حضرا عند معاوية قال: مَن لهذا القوي؟ فقالوا: ماله إلا أحد رجلين إما محمد بن الحنفية أو عبد اللَّه بن الزبير، فجيء بمحمد بن الحنفية، وهو ابن علي بن أبي طالب، فلما اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية: أتعلم فيم أرسلت إليك؟ قال: لا! فذكر له أمر الرومي وشدة بأسه، فقال للرومي: إما أن تجلس لي أو أجلس إليك وتناولني يدك أو أناولك يدي فأينا قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه، وإلا فقد غلب، فقال له: ماذا تريد؟ تجلس أو أجلس؟ فقال له الرومي: بل اجلس أنت فجلس محمد بن الحنفية وأعطى الرومي يده، فاجتهد الرومي بكل ما يقدر عليه من القوة أن يزيله من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ولا وجد إليه سبيلًا، فغُلب الرومي عند ذلك وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غُلب، ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومي: اجلس لي فجلس وأعطى يده فما أمهله أن أقامه سريعاً ورفعه في الهواء ثم ألقاه في الأرض فسُّر بذلك معاوية سروراً عظيماً[١].

أي شجاعة أعظم من هذه الشجاعة؟! أي بذل للروح أعظم من هذا البذل؟!

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ٩٨).

وأي رغبة فيما عند اللَّه أكبر من هذه الرغبة؟!

لا تــأتــيــن بــذكــر مــن ذكــروا   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

لقد ضرب الآل والأصحاب رضوان اللَّه عليهم مثالًا رائعاً في الدفاع عن بيضة الإسلام، والتسابق إلى نيل الشهادة في سبيل اللَّه تعالى.

إنهم انطلقوا في تخوم الأرض يريدون إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى عدل الآخرة.

إنهم فتحوا القلوب قبل فتح البلاد.

إنهم زادوا الأرض جمالًا وجلالًا، ولم يُفسدوا ما فيها من الحسن، والبهاء.

إن هذه المواقف العظيمة تنسي ما كان قبلها، وتتعب من جاء بعدها، لأن شجاعة الآل والأصحاب ليست بطشاً وجبروتاً وغطرسة، إنما هي رحمة في القلب، وسلامة في الصدر، وحسن في الرأي، وقوة في الساعد.

أولـئـك آبـائـي فـجـئـنـي بـمـثـلـهـم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

❊ ❊ ❊

تواضع الآل والأصحاب

الكبر والعجب داءان مهلكان، والمتكبر والمعجب مريضان، وهما عند اللَّه ممقوتان.

وقد أمر اللَّه سبحانه رسوله ﷺ بالتواضع لمن آمن به من المؤمنين، فقال عز وجل: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

وفي سنن الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللَّهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني مع زمرة المساكين»[(٢)].

قال ابن تيمية رحمه الله: «فالمسكين المحمود هو المتواضع الخاشع للَّه، ليس المراد بالمسكنة عدم السؤال، بل قد يكون الرجل فقيراً من المال وهو جبار . . . فالمسكنة خلق في النفس، وهو التواضع والخشوع، واللين ضد الكبر، كما قال عيسى عليه السلام ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[(٣)].

ومدح اللَّه عباده المؤمنين، وجعل أول صفاتهم التواضع، فقال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[(٤)].

---

(١) سورة الشعراء الآية (٢١٥).

(٢) سنن الترمذي: ح(٢٣٥٢) وصحَّحه الذهبي.

(٣) سورة مريم الآية (٣٢).

(٤) سورة الفرقان الآية (٦٣).

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر أن صفاتهم أكمل الصفات، ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[١] أي ساكنين متواضعين للَّه وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع للَّه، ولعباده»[٢].

والتواضع علامة حب اللَّه سبحانه للعبد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣].

والرسول ﷺ قد أوصى بالتواضع في أحاديث كثيرة.

روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن اللَّه أوحى إلي: أن تواضعوا لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»[٤].

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة، الحكمة بيد الملك، فإن تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإن ارتفع قيل للملك: ضع حكمته»[٥].

وروى مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما زاد اللَّه

---

(١) سورة الفرقان الآية (٦٣).
(٢) راجع: تفسير السعدي (١/ ٥٨٦).
(٣) سورة المائدة الآية (٥٤).
(٤) رواه مسلم: ح(٢٨٦٥).
(٥) شعب الإيمان (٦/ ٢٧٦٩).

عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد للَّه إلا رفعه اللَّه»[١].

وإمام المتواضعين ﷺ كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وكانت الأَمة تأخذه بيده، فتنطلق به حيث شاءت، ويأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم، وكان ﷺ يردف خلفه، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار.

وكان ﷺ متواضعاً مع أهل بيته، فقد روى البخاري عن الأسود بن يزيد أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سئلت: ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[٢].

لذا سار على هديه آله وصحبه رضوان اللَّه عليهم، فضربوا أروع الأمثلة في النفوس المتواضعة، والقلوب المطمئنة، وهذه بعض أخبارهم.

*** أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**

قال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن[٣].

*** عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**

عن حزام بن هشام، عن أبيه، قال: رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرَّ على امرأة وهي تعصد عصيدة[٤] لها، فقال: ليس هكذا يعصد. ثم أخذ

---

(١) رواه مسلم: ح(٢٥٨٨).
(٢) رواه البخاري: ح(٦٠٣٩).
(٣) الزهد لأحمد: ص(١٠٨).
(٤) العصيدة: دقيق يُلَتُّ بالسمن ويطبخ. (لسان العرب: ٣/ ٢٩١).

المسوط[١] فقال: هكذا. فأراها[٢].

عن أسلم، قال: «قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام على بعير، فجعلوا يحدثون بينهم، فقال عمر: تطمح أبصارهم إلى مراكب من لا خلاق له!!»[٣].

يعيب عليهم أمنيتهم مراكب المتكبرين.

وعن محمد بن عمر المخزومي، عن أبيه قال: نادى عمر بن الخطاب: الصلاة جامعة. فلما اجتمع الناس وكثروا صعد المنبر، فحمد اللّه وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر أو الزبيب فأظل يومي وأي يوم. ثم نزل، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين: ما زدت على أن قميت نفسك؟! فقال: ويحك يا ابن عوف!! إني خلوت فحدثتني نفسي، قالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟! فأردت أن أعرفها نفسها[٤].

*** عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

عن ميمون بن مهران قال: أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان

(١) المسوط: مَا يُخْلَطُ به من عَصاً ونَحْوِها. (لسان العرب: ١٩/ ٣٩٣).
(٢) طبقات ابن سعد: (٣/ ٣١٤)، وحياة الصحابة للكاندهلوي (٢/ ٥٥٠).
(٣) أخرجه ابن عساكر (٨/ ٣٤١).
(٤) تاريخ دمشق: (٤٤/ ٣١٥).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بغلة، وخلفه عليها غلامه نائل، وهو خليفة[١].

*** علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**

عن عمرو بن قيس: أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رئي عليه إزار مرقوع، فعوتب في لباسه، فقال: يقتدي به المؤمن، ويخشع له القلب[٢].

*** عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**

عن سعد بن الحسن التميمي، قال: كان عبد الرحمن بن عوف لا يُعرف من بين عَبِيده. يعني: من التواضع في الملبس[٣].

*** أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**

عن يزيد بن زياد القرظي قال: حدثني ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، فقلت له: يكفي هذا، فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه[٤].

*** زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**

ركب زيد بن ثابت مرة، فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه، فقال: مه يا ابن عم

(١) الزهد لأحمد: ص(١١٧).
(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في فضائل الصحابة، ح(٩٢٣) وابن سعد في الطبقات: (٣/ ٢٨)، كنز العمال: ح(٣٦٥٤٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٨٩).
(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٥).

رسول اللَّه!! فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا[١].

* الحسن بن علي رضي الله عنه:

مرَّ الحسن على صبيان معهم كسر خبز، فاستضافوه فنزل، فأكل معهم ثم حملهم إلى منزله، فأطعمهم وكساهم، وقال: اليد لهم؛ لأنهم لا يجدون شيئاً غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر منه[٢].

* أبو ذر رضي الله عنه:

يذكر أن أبا ذر رضي الله عنه عيَّر بلالًا رضي الله عنه بسواده، ثم ندم، فألقى بنفسه، فحلف: لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدمه. فلم يرفع رأسه حتى فعل بلال[٣].

* سلمان الفارسي رضي الله عنه:

عن فضيل بن عياض قال: رئي على سلمان جبة من صوف، فقيل له: لو لبست ألين من هذا؟ قال: إنما أنا عبد، ألبس كما يلبس العبد، فإذا عتقت لبست ثياباً لا تبلى حواشيها[٤].

وعن سلامة العجلي قال: جاء ابن أخت لي من البادية، يقال له: قدامة، فقال لي: أحب أن ألقي سلمان الفارسي رضي الله عنه فأُسلِّم عليه، فخرجنا إليه

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٠).
(٢) مدارج السالكين (٢ / ٣٣٠).
(٣) مدارج السالكين (٢ / ٣٣٠).
(٤) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا، ص(١٧١).

فوجدناه بالمدائن، وهو يومئذ على عشرين ألفاً، ووجدناه على سرير يسف خوصاً، فسلمنا عليه، قلت: يا أبا عبد اللَّه، هذا ابن أخت لي قدم علي من البادية فأحب أن يسلم عليك، قال: وعليه السلام ورحمة اللَّه. قلت يزعم أنه يحبك، قال: أحبه اللَّه[١].

* عبد اللَّه بن سلام رضي الله عنه :

زعم عبد اللَّه بن حنظلة أن عبد اللَّه بن سلام رضي الله عنه مرَّ في السوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: أليس أغناك اللَّه؟ قال: بلى، ولكن أردت أن أقمع الكبر، سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يدخل الجنة مَن في قلبه مثقال حبة خردلة من كبر»[٢].

* عمار بن ياسر رضي الله عنه :

قال عبد اللَّه بن أبي الهذيل: رأيت عماراً اشترى قتاً[٣] بدرهم، وحمله على ظهره وهو أمير الكوفة.

* حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

عن ابن سيرين: أن عمر كتب في عهد حذيفة على المدائن: «اسمعوا له وأطيعوا، وأعطوه ما سألكم»، فخرج من عند عمر على حمار موكف، تحته

---

(١) رواه الطبراني في الكبير: ح(٦١١٠) وأبو نعيم في الحلية: (١/ ١٩٧)، حياة الصحابة (٢/ ٥٥٥) ، ويسف خوصاً: أي ينسج سعف النخل.

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ح(١٢٩) وقال الحافظ الهيثمي في المجمع (١/ ١١٧) ح(٣٦١) رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.

(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٠٦). والقت: الفصفصة، وهي الرطبة من علف الدواب.

زاده، فلما قدم استقبله الدهاقين وبيده رغيف، وعرق من لحم[١].

ليس التواضع عند الآل والأصحاب ﷺ في لبس الوسخ، وأكل اليابس، والتماوت في المشي، وإنما هو صلاح القلب، يظهر نوره على وجه الإنسان، وجوارحه.

إن هذه الأخبار تجلي لنا أن الآل والأصحاب مع ما جمعوه من شرف في الصحبة والنسب، وسعة في المال، وبسطة في الخير، إلا أنهم كانوا لا يحسنون إلا لباس التواضع، ولين الجانب، وخفض الجناح لكل مسكين، مدفوع بالأبواب، فضلًا عن غيرهم.

إن الذين يملكون ما لا يملك الناس من المال، والمنصب، والجاه إن لم يستشعروا أنها نعم زائلة، يسهل تحولها، فسيمحق اللَّه خيرها، وسيذهب أثرها، وسيرجع صاحبها معدماً فقيراً، وذليلًا كسيراً.

وكلما كان الإنسان أكثر تواضعاً كان أكثر إيماناً، وأرجح عقلًا، ولا يتكبر إلا من لم يعرف حقيقته البشرية، وطبيعته الطينية، فكيف يتكبر من يجري في مجرى البول مرتين؟!

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٦١) وموكف: أي قد وضع عليه الإكاف، وهو بمنزله السرج للحصان، والدهاقين: رؤساء القرى أو التجار.

الأخوَّة عند الآل والأصحاب

أرشد المصطفى ﷺ أمته إلى أهمية التآخي بينهم فقال ﷺ: «وكونوا عباد اللَّه إخواناً»[١]، ولم يكتف ﷺ بالدعوة إلى الأخوة بل امتثلها في حياته، ويكفي في بيان ذلك ما كان بينه ﷺ وبين صاحبه أبي بكر رضي الله عنه من مودة وتآخي، صورها ﷺ بقوله: «لو كنت متخذاً خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن أخوةُ الإسلام ومودته»[٢] وفي رواية «ولكن أخوة الإسلام أفضل»[٣].

وعندما وطئت أقدام محمد ﷺ أرض طيبة الطاهرة عني عناية خاصةً بإقامة رابطة الأخوة الإيمانية بين أبناء مجتمعه الأول، فكانت على رأس سُلم أولوياته ﷺ، أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف، وآخى رسول اللَّه ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالًا، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فأطلقها، حتى إذا حلت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك اللَّه لك في أهلك، فلم يرجع يومئذ حتى أَفْضَلَ شيئاً من سمن وأقط، فلم يلبث

(١) رواه البخاري: ح(٦٠٧٦).
(٢) رواه البخاري: ح(٤٥٤).
(٣) رواه البخاري: ح(٣٤٥٧).

إلا يسيراً حتى جاء رسول اللَّه ﷺ وعليه وضر[١] من صفرة، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «مهيم». قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: «ما سقت إليها». قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: «أولم ولو بشاة»[٢].

والأخوة قوام الحياة، بل هي ماء العيش كما قال سفيان رحمه الله: لا بد من أخ تبثه شكواك، ويعينك على بلواك، ومن وجد له أخاً تهواه نفسه، وتعجبه فعاله، ويرضى اللَّه عن خصاله، فليتمسك به، فإن أعجز الناس من فرط في طلب الإخوان الأوفياء، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم.

ويقول عمر رضي الله عنه: لقاء الأخوان جلاء الأحزان[٣].

وما المرء إلا بإخوانه كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم

إن ثمرة الأخوة لا تقتصر على الدنيا فقط بل يمتد أثرها، ونفعها إلى الدار الآخرة، وهي الدار التي أحوج ما يكون فيها المرء إلى إخوانه وإحسانهم، وهل هناك أعز وأغلى من أخ لك لم تلده أمك يكون سبباً في الشفاعة لك، وإنقاذك من النار، قال بعض السلف: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة. وشاهد ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن النبي ﷺ

---

(١) وَسَخُ الدَّسَمِ واللَّبَنِ وغُسالةُ السِّقاءِ والقَصْعةِ ونحوِه (لسان العرب: ٧/ ٥٤).
(٢) رواه البخاري: ح(٣٧٨١).
(٣) روضة العقلاء: ص(١٦٢).

«فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون»[١].

والأخوة والألفة بين المؤمنين لتَبقى معهم في دنياهم وفي برزخهم أيضاً، وأما إذا أنعم اللَّه على الأخوين بدخول الجنة فأخوتهم هناك تختلف عن أخوة الدنيا، فهي أخوَّة صافية خالصةٌ جاءت بعد نزع الأحقاد والضغائن التي بقيت من آثار الدنيا قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[٢].

إن الأخوة في اللَّه لا تؤتي أكلها وتجنى ثمارها ما لم تكن في اللَّه وللَّه، فهي قرينة الإيمان لا تنفك عنه، ولذا جمع اللَّه بينهما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٣].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا عقد عقده اللَّه بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان في مشرق الأرض ومغربها الإيمان باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوةٌ توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبونه لأنفسهم ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم[٤].

إن من الأمثلة التي تصور أصالة الأخوة وارتباطها بالدين والإيمان موقف

---

(١) رواه البخاري: ح(٧٤٣٩).
(٢) سورة الحجر الآية (٤٧).
(٣) سورة الحجرات الآية (١٠).
(٤) تفسير السعدي (١/ ٨٠٠).

مصعب بن عمير رضي الله عنه مع أخيه أبي عزيز الذي قدم مع معسكر المشركين يوم بدر، فتحركت في نفس مصعب رضي الله عنه أواصر الأخوة الإسلامية حينما تعارضت مع أخوة النسب، يقول أبو عزيز: مرَّ بي أخي مصعب بن عمير، ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: مصعب لأخيه في الإسلام من الأنصار شدَّ يديك به، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال له أخوه في النسب أبو عزيز: يا أخي أهذه وصاتك بي، فقال مصعب رضي الله عنه : إنه أخي دونك[١].

كم من أخٍ لك لم يلده أبوك وأخ أبوه أبوكا قد يجفوك

كم نحن بحاجة إلى أن نجرد أخوتنا فلا تكون إلا للَّه، وأن نترك ما سواها إذا كانت تتعارض مع أخوة الدين، كأخوة النسب، أو الوطن، فهذه صور للأخوة، والروابط لا تأباها الشريعة، لكن شريطة أن لا تتعارض مع أخوة الدين والإيمان.

وهذه المسلك هو الذي سلكه الآل والأصحاب - رضوان اللَّه عليهم- في مواقف يصعب حصرها، اقتصرت على بعضها اختصارا.

❊ كان موسى الكاظم يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصّرة فيها ألف دينار[٢].

❊ قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إني لأدعو لسبعين رجلًا من إخواني في صلاتي

---

(١) انظر: (البداية والنهاية ٣/ ٣٧٤).

(٢) وفيات الأعيان (٥/٣٠٨).

أسميهم بأسمائهم وأسماء آبائهم[١].

وقال أبو الدرداء: معاتبة الأخ أهون من فقده، ومن لك بأخيك كله، فأعط أخاك وهب له، ولا تطع فيه كاشحاً فتكون مثله[٢].

* قال مجاهد: صحبت ابن عمر رضي الله عنهما وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني أكثر[٣]. كان عمر رضي الله عنه يذكر الأخ من إخوانه في بعض الليل فيقول: يا طولها من ليلة فإذا صلى المكتوبة غدا إليه واعتنقه[٤].

* كان بين عاصم بن عمر بن الخطاب وبين الحسن والحسين ابني علي ابن أبي طالب منازعة في أرض، فلما تبين عاصم من الحسن الغضب قال: هي لك، فقال له: بل هي لك، فلما تركاها ولم يتعرضا لها ولا أحد من ذريتهما حتى أخذها الناس من كل جانب[٥].

* قال عمر رضي الله عنه: «لا يعجبنكم طنطنة الرجل، ولكن من أدى الأمانة، وكفَّ عن أعراض الناس هو الرجل»[٦].

* قال ميمون بن مهران: سمعت ابن عباس يقول: ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل، إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٢٩).
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٣٢١).
(٣) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي،(٢/ ٣٧٧).
(٤) غذاء الألباب (٢/ ٣٧٩)
(٥) البداية والنهاية (٨ / ٢٩٨).
(٦) رواه أحمد في الزهد: ص(٤٢٠).

كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فإن أرض اللَّه واسعة[(١)].

* عاتب عثمان علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال عثمان: ما لك لا تقول؟ فقال: إن قلت لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب[(٢)].

* قال الأعمش: كان ابن مسعود إذا جاءه أصحابه قال: أنتم جلاء قلبي[(٣)].

* قال معاذ بن جبل: إذا كان لك أخ في اللَّه فلا تُمارِهِ ولا تَسمعْ فيه من أحدٍ، فربما قال لك ما ليس فيه، فحال بينك وبينه[(٤)].

* قال الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه، واعتذر في أذني الأخرى، لقبلت عذره[(٥)].

* قال ابن عباس: أعز الناس عليّ جليسي الذي يتخطى الناسَ إليَّ، أما واللَّه إن الذباب يقع عليه فيشق علي[(٦)].

* روى الطبراني بإسناده في «مكارم الأخلاق» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ثلاثة لا أقدر على مكافأتهم: فرجل أوسع لي في مجلسه، ورجل سقاني

---

(١) البداية والنهاية (٩ / ٣١٩).
(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية للإمام أبي عبد اللَّه محمد بن مفلح المقدسي (١/ ٣٧٨).
(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٤٣).
(٤) الآداب الشرعية (١/ ٢٥٨).
(٥) الآداب الشرعية (١/ ٣١٩).
(٦) الآداب الشرعية (١/ ٣٢٥).

على ظمأ، ورجل اغبرت قدماه في الاختلاف إلى بابي، وأما الرابع الذي لا يكافئه عني إلا اللَّه عز وجل: فرجل عُرضت له حاجة فظل ساهراً متفكراً بمن ينزل حاجته وأصبح فرآني موضعاً لحاجته، فهذا لا يكافئه عني إلا اللَّه عز وجل، وإني لأستحي من الرجل أن يطأ بساطي ثلاثًا لا يُرى عليه أثرٌ من أثري[١].

* قال علي: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه[٢].

* قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شرط الصحبة إقالة العثرة، ومسامحة العشرة، والمواساة في العسرة[٣].

مواقف يعجز القلم عن تسطير وصف لها، ومشاعر مقرونة بأفعال تظهر فيها عظمة العظماء، وروعة الفضلاء.

تعمدت الاكتفاء ببعض ما جاء عن الآل والأصحاب رضي الله عنهم في تفسيرهم لمعنى الأخوة، لنتخذ منها ميزاناً نزن به بعض أخلاقنا، ونبين حقيقة نظرتنا لأخوة لنا في اللَّه تعالى، ونكشف عن بعض ممارساتنا الخاطئة مع بعضنا البعض إلا من رحم اللَّه تعالى.

إن القلوب التي لا يمكن أن يجمعها إلا الأخوة في اللَّه تتضاءل إلى جانبها

---

(١) الآداب الشرعية (١/ ٣٢٦).
(٢) الآداب الشرعية (١/ ٣٧٨).
(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٤٥٣).

الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والأطماع الشخصية، والآفات العنصرية.

وإخوان حسبتهم دروعاً فكانوها ولكن للأعادي
وحلتهم سهاماً راميات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادي

إنني آمل أن نعرض سلوكنا الذي يعبر عن حقيقة فهمنا لمعنى الأخوة على هذه الآثار والأخبار، ونسعى جاهدين لتغيير ما يعكر جمال الأخوة، ويفسد حلاوتها.

إن الأخوة في اللَّه يذوب عندها كل تعصب لمذهب، أو طائفة، أو عرف، أو تراب، ويكون الولاء كله للَّه، وفي اللَّه. نسأل اللَّه عوناً على تحقيق الأخوة الصادقة.

* * *

بكاء الآل والأصحاب

البكاء فطرة بشرية كما ذكر أهل التفسير، فقد قال القرطبي في تفسير قول اللَّه تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾[١] أي، قضى أسباب الضحك والبكاء، وقال عطاء بن أبي مسلم يعني، أفرح وأحزن ؛ لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء[٢].

وبما أن البكاء فعل غريزي لا يملك الإنسان دفعه غالباً فإنه مباح بشرط ألا يصاحبه ما يدل على التسخط من قضاء اللَّه وقدره، لما جاء في الصحيحين عن النبي ﷺ «إن اللَّهَ لا يعذب بدمعِ العينِ ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم»[٣].

وفي أنواع البكاء، وأشكاله ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عشرة أنواع: بكاء الخوف والخشية، وبكاء الرحمة والرقة، وبكاء المحبة والشوق، وبكاء الفرح والسرور، وبكاء الجزع من ورود الألم وعدم احتماله، وبكاء الحزن، وفرقه عن بكاء الخوف، أن الأول «الحزن»: يكون على ما مضى من حصول مكروه أو فوات محبوب، وبكاء الخوف: يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك، والفرق بين بكاء السرور والفرح وبكاء

---

(١) سورة النجم الآية (٤٣).
(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ١١٦).
(٣) رواه البخاري: ح(١٣٠٤) و مسلم: ح(٩٢٤).

الحزن أن دمعة السرور باردة والقلب فرحان، ودمعة الحزن: حارة والقلب حزين، ولهذا يقال لما يُفرح به: هو«قرة عين» وأقرّ به عينه، ولما يُحزن: هو سخينة العين، وأسخن اللَّه به عينه.

ومنها: بكاء الخور والضعف، وبكاء النفاق وهو: أن تدمع العين والقلب قاس.

والبكاء المستعار والمستأجر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة فإنها كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تبيع عبرتها وتبكي شجو غيرها.

وبكاء الموافقة: فهو أن يرى الرجل الناس يبكون لأمر عليهم فيبكي معهم ولا يدري لأي شيء يبكون، يراهم يبكون فيبكي[1].

والبكاء من خشية اللَّه تعالى أصدق بكاء تردد في النفوس، وأقوى مترجم عن القلوب الوجلة الخائفة، ولما كانت قلوب الآل والأصحاب رضي الله عنهم عامرة بخشية اللَّه، والخوف منه، فقد ظهر ذلك على ظواهرهم، ففاضت عيونهم بالدموع.

وليس المراد من الخشوع أن يكون البكاء ملازماً له، فإن هذا شيء زائد عليه، فقد يخشع القلب، ولا تدمع العين، وقد تدمع العين، ولا يخشع القلب، فقد روي عن سفيان الثوري رحمه الله: إذا تمكن الشيطان من العبد، فيجعله إن شاء بكى، وإن شاء سكت.

---

(١) زاد المعاد (١/ ١٨٤).

عمَّر اللَّه قلوبنا وإياكم بالخشية والوجل، وجعلنا ممن يقرن ذلك بصالح القول والعمل.

* بكاء أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما خطب رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خطب رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الناس فقال: «إن اللَّه عز وجل خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عنده». فبكي أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعجبنا من بكائه أن يخبر رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن عبد خُيِّر، فكان رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا بالحديث[(١)].

* بكاء عمر بن الخطاب عندما رأى أهل بيت جياع:

عن أسلم أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طاف ليلة، فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون. وإذا قدر على النار قد ملأتها ماءً. فدنا عمر ابن الخطاب من الباب فقال: يا أمة اللَّه، أيش بكاء هؤلاء الصبيان؟ فقالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذه القدر التي على النار؟ فقالت: قد جعلت ماء هو ذا أعللهم به حتى يناموا، وأوهمهم أن فيها شيئاً. فجلس عمر فبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم جاء إلى دار الصدقة، وأخذ غرارة، وجعل فيها شيئاً من دقيق وشحم وسمن وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغرارة، ثم قال: يا أسلم احمل علي، فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك، فقال لي: لا أم لك يا أسلم! أنا أحمله لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة، فحمله حتى

---

(١) أخرجه البخاري: ح(٣٦٥٤)، ومسلم: ح(٢٣٨٢).

أتي به منزل المرأة، فأخذ القدر فجعل فيها دقيقا وشيئاً من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القِدر، قال أسلم: وكانت لحيته عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثم خرج وربض بحذائهم كأنه سبع، وخفت منه أن أكلمه، فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا الصبيان. ثم قام فقال: يا أسلم أتدري لم ربضت بحذائهم؟ قلت: لا، قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي[١].

*** بكاء أبي هاشم رضي الله عنه عند مرضه:**

عن أبي وائل رضي الله عنه قال: جاء معاوية إلي أبي هاشم بن عتبة، وهو مريض يعوده، فقال: يا خال، ما يبكيك؟ أوجع يشئزك، أم حرص على الدنيا؟ قال: كل لا، ولكن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم عهد إلي عهداً لم آخذ به. قال: «إنما يكفيك من جمع المال خادم ومركب في سبيل اللَّه. وأجدني اليوم قد جمعت»[٢].

*** بكاء معاذ رضي الله عنه عندما أوصاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم:**

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لما بعثه رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم إلي اليمن خرج معه رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يوصيه، ومعاذ راكب ورسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يمشي تحت راحلته،

---

(١) تاريخ دمشق: (٤٤/ ٣٥٢).

(٢) رواه الترمذي: ح(٢٣٢٧) وحسنه الألباني، ويشئزك: أي يقلقك. (لسان العرب: ٥/ ٣٦٠).

فلما فرغ، قال: «يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»، فبكي معاذ جشعاً لفراق رسول اللَّه ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة. فقال: «إن أولى الناس بي المتقون، مَن كانوا وحيث كانوا»[1].

*** بكاء أبي هريرة عند مرضه لبعد سفره وقلة زاده:**

عن مسلم بن بشر قال: بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه: ولكني أبكي لبعد سفري وقلة زادي، أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار، لا أدري أيهما يؤخذ بي[2].

*** بكاء أبي هريرة رضي الله عنه عند الرسول ﷺ عندما كانت أمه تعرض عن الإسلام:**

قال أبو كثير، قال حدثني أبو هريرة رضي الله عنه قال لنا: واللَّه ما خلق اللَّه مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبني. قلت: وما علمك بذلك يا أبا هريرة؟ قال: إن أمي كانت امرأة مشركة، وإني كنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى علي فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول اللَّه ما أكره، فأتيت رسول اللَّه وأنا أبكي، فقلت: يا رسول اللَّه إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وكانت تأبى علي، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع اللَّه أن يهدي أم أبي هريرة.

(١) أخرجه أحمد: ح(٢٢٠٥٢).
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٣٨٣).

فقال رسول اللَّه ﷺ: «اللَّهم اهد أم أبي هريرة». فخرجت أعدو أبشرها بدعاء رسول اللَّه ﷺ، فلما أتيت الباب إذا هو مجاف، وسمعت خضخضة الماء، وسمعت خشف رِجْل - يعني وقعها - فقالت: يا أبا هريرة، كما أنت، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها.

فقالت: إني أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ فرجعت إلى رسول اللَّه ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن.

فقلت: يا رسول اللَّه، أبشر، فقد استجاب اللَّه دعاءك، وقد هدى أم أبي هريرة. فقلت: يا رسول اللَّه، ادع اللَّه أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا.

فقال رسول اللَّه ﷺ: «اللَّهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما». فما خلق اللَّه مؤمناً يسمع بي ولا يراني، أو يرى أمي إلا وهو يحبني(١).

*** بكاء ابن عمر رضي الله عنهما عندما رأى أمانة راعي الغنم:**

عن عبد اللَّه بن دينار قال: خرجت مع عبد اللَّه بن عمر إلى مكة فعرسنا، فانحدر علينا راع من الجبل، فقال له ابن عمر: أراع؟ قال: نعم، قال: بعني شاة من الغنم، قال: إني مملوك: قال: قل لسيدك: أكلها الذئب، قال: فأين اللَّه عز وجل؟ قال ابن عمر: فأين اللَّه!! ثم بكى، ثم اشتراه بعد

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح(٨٢٤٢) وحسَّن الشيخ شعيب إسناده.

فأعتقه. . . وفي رواية ابن أبي رواد عن نافع: فأعتقه واشترى له الغنم[١].

*** بكاء أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عندما ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:**

عن الأحنف بن قيس قال: دخلت بيت المقدس، فوجدت فيه رجلًا يكثر السجود، فوجدت في نفسي من ذلك، فلما انصرف قلت: أتدري على شفع انصرفت أم على وتر؟ قال: إن أك لا أدري فإن اللَّه عز وجل يدري. ثم قال: أخبرني حبي أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم ثم بكى، ثم قال: أخبرني حبي أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم ثم بكى، ثم قال: أخبرني حبي أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما من عبد يسجد للَّه سجدة، إلا رفعة اللَّه بها درجة، وحطَّ عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة». قال: قلت: أخبرني من أنت يرحمك اللَّه؟ قال: أنا أبو ذر صاحب رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم، فتقاصرت إلي نفسي[٢].

*** بكاء عمار بن ياسر رضي الله عنه عندما أغلظ عليه خالد بن الوليد رضي الله عنه:**

عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام فأغلظت له في القول، فانطلق عمار يشكوني إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء خالد وهو يشكوه إلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: فجعل يغلظ له، ولا يزيد إلا غلظة، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ساكت لا يتكلم، فبكي عمار، وقال: يا رسول اللَّه، ألا تراه، فرفع رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم رأسه، فقال: «من عادي عماراً عاداه اللَّه،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٥٥).

(٢) رواه أحمد: ح(٢١٤٩٠) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير هارون بن رئاب فمن رجال مسلم.

ومن أبغض عماراً أبغضه اللَّه: قال خالد: فخرجت فما كان شيء أحب إلي من رضا عمار، فلقيته فرضي[١].

*** بكاء ابن عباس رضي الله عنهما عندما تذكَّر وفاة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم:**

عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟! ثم بكي حتى بل دمعه الحصى، قلنا: يا أبا العباس، وما يوم الخميس؟. قال: اشتد برسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وجعه، فقال: «ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً» فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه، أهجر؟ - قال سفيان: يعنى هذي - استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه، فقال: «دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» وأمر بثلاث - وقال سفيان مرة: أَوْصَى بثلاث - قال: «أَخْرِجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم». وسكت سعيد عن الثالثة، فلا أدري اسكت عنها عمداً، وقال مَرةً: أو نسيها؟

وقال سفيان مَرةً: وإما أن يكون تركها، أو نسيها[٢].

*** بكاء سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما عاده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وخوفه على بسط الدنيا:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: اشتكى سلمان الفارسي رضي الله عنه فعاده سعد رضي الله عنه ، فرآه يبكي فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي؟. أليس قد صحبت

---

(١) رواه أحمد: ح(١٦٨١٤).

(٢) رواه البخاري: ح(٣٠٥٣)، ومسلم: ح(١٦٣٧). وأحمد في المسند، ح(١٩٣٥) واللفظ له.

رسول اللَّه ﷺ؟ أليس؟ أليس؟، قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين، ما أبكي ضناً للدنيا، ولا كراهية للآخرة، ولكن رسول اللَّه ﷺ عهد إلي عهداً فما أراني إلا قد تعديت، قال: وما عهد إليك؟، قال: عهد إلي أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب، ولا أراني إلا قد تعديت، وأما أنت يا سعد، فاتق اللَّه عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت، قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً. من نفقة كانت عنده[١].

*** بكاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عندما وضع الطعام أمامه:**

عن نوفل بن إياس الهذلي قال: كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لنا جليساً، وكان نعم الجليس، وإنه انقلب بنا يوماً حتى دخلنا بيته، ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس معنا، وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف، فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟. قال: هلك رسول اللَّه ﷺولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أخرنا لها لما هو خير منها[٢].

*** بكاء أنس بن مالك رضي الله عنه عندما يذكر النبي ﷺ:**

روى حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن فاطمة بنت النبي ﷺ قالت: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول اللَّه ﷺ

(١) رواه ابن ماجه: ح(٤١٠٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (١/ ١٠٠).

التراب؟ وقالت: يا أبتاه من ربه ما أدناه، واأبتاه جنة الفردوس مأواه، واأبتاه إلى جبريل ننعاه، واأبتاه أجاب رباً دعاه. قال حماد حين حدث ثابت بكى، وقال ثابت: حين حدث به أنس بكى(١).

* بكاء أبي الدرداء ﵁ عندما فتحت قبرص:

عن جبير بن نفير ﵁ قال: لما فتحت قبرص، فرق بين أهلها. فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيت أبا الدرداء ﵁ جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز اللَّه فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على اللَّه إذا هم تركوا أمره. بينا هي أمة قاهرة ظاهرة، لهم الملك تركوا أمر اللَّه فصاروا إلى ما ترى(٢).

* بكاء أسيد بن حضير ﵁ عندما أُخبر أن زوجته توفيت:

عن عائشة ﵂ قالت: قدمنا من حج أو عمرة، فتلقينا بذي الحليفة وكان غلمان من الأنصار تلقوا أهليهم، فلقوا أسيد بن حضير، فنعوا له امرأته، فتقنع وجعل يبكي، قالت: فقلت له: غفر اللَّه لك، أنت صاحب رسول اللَّه ﷺ ولك من السابقة والقدم، ما لك تبكي على امرأة؟ فكشف عن رأسه، وقال: صدقت لعمري، حقي أن لا أبكي على أحد بعد سعد بن معاذ، وقد قال له رسول اللَّه ﷺ ما قال. قالت: قلت له:

---

(١) رواه البخاري: ح(٤١٩٣) والدارمي: ح(٨٧). واللفظ له.
(٢) أخرجه أبو نعيم: (١/ ٢١٧).

ما قال له رسول اللَّه ﷺ؟ قال: «لقد اهتز العرش لوفاة سعد بن معاذ». قالت: وهو يسير بيني وبين رسول اللَّه ﷺ[١].

*** بكاء عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه على وفاة عمر رضي الله عنه:**

عن زيد بن وهب قال: ذهبت أنا ورجل إلى عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه فإذا هو قائم يصلي وقد اكتنفه رجلان، فلما سلَّم سألاه عن آية، فقال لأحدهما: من أقرأك؟. قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال للآخر من أقرأك؟ قال: أبو حكيم. فقال: اقرأ كما أقرأك عمر، ثم بكى حتى بلّ الحصى دموعه، ثم قال: إن عمر رضي الله عنه كان للإسلام حصناً حصيناً، يدخلون في الإسلام ولا يخرجون، فلما أصيب عمر انثلم الحصن[٢].

*** بكاء خباب بن الأرت رضي الله عنه عند مرضه:**

عن شقيق بن سلمة قال: دخلنا على خباب بن الأرت رضي الله عنه في مرضه، فقال: إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم، واللَّه ما شددت لها من خيط، ولا منعتها من سائل، ثم بكى، فقلنا: ما يبكيك؟ قال: أبكي إن أصحابي مضوا ولم تنقصهم الدنيا شيئاً، وأنا بقينا بعدهم حتى ما نجد له موضعاً[٣].

*** بكاء أبي قتادة رضي الله عنه عندما علم من الرجل الذي يريد منه مالاً أنه ليس معه مال:**

عن محمد بن كعب القرظي قال: إن أبا قتادة رضي الله عنه كان له على رجل

(١) رواه أحمد: ح(١٩٠٩٥).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ح(٨٧١٣).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير: ح(٣٦٦٧).

دْين. وكان يأتيه يتقاضاه، فيختبيء منه، فجاء ذات يوم فخرج صبي فسأله عنه فقال: نعم هو في البيت، يأكل خزيرة، فناداه: يا فلان اخرج، فقد أخبرت أنك ها هنا، فخرج إليه، فقال: ما يغيبك عني؟ قال: إني معسر وليس عندي، قال: آللَّه إنك معسر؟. قال: نعم، فبكى أبو قتادة. ثم قال: سمعت رسول اللَّهﷺ يقول: من نفَّس عن غريمه، أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة[١].

*** بكاء عمرو بن العاص رضي الله عنه على ما كان منه قبل الإسلام:**

عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت، فبكى طويلًا، وحوَّل وجهه إلى الجدار، فجعل ابنه يقول: يا أبتاه أما بشرك رسول اللَّه ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول اللَّه ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه، إني كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول اللَّه ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل اللَّه الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: أبسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه. قال: فقبضت يدي، فقال: «مالك يا عمرو؟ قلت: أردت أن أشترط». قال: «تشترط ماذا؟»، قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قلبه؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟» وما كان أحد أحب إلي من رسول اللَّه ﷺ ولا أجلّ

---

(١) رواه أحمد: ح(٢٢٦٢٣) وصحح الشيخ شعيب إسناده.

في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالًا له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها؟. فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شناً، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تُنْحَر جزور ويُقْسَم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي[١].

* بكاء أبي أمامة رضي الله عنه على ضلال هذه الأمة:

عن سيار بن عبد اللّه الأموي قال: جيء برؤوس من قبل العراق، فنصبت عند باب المسجد، وجاء أبو أمامة، فدخل المسجد، فركع ركعتين، ثم خرج إليهم، فنظر إليهم، فرفع رأسه فقال: شر قتلى تحت ظل السماء ثلاثاً، ثم إنه بكى، ثم انصرف عنهم. فقال له قائل: يا أبا أمامة، أرأيت هذا الحديث، حيث قلت: كلاب النار، شيء سمعته من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، أو شيء تقوله برأيك؟. قال: سبحان اللّه، وإني إذاً لجريء، لو سمعته من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم مرة أو مرتين، حتى ذكر سبعاً، لخلت أن لا أذكره. فقال الرجل: لأي شيء بكيت؟. قال: رحمة لهم، أو من رحمتهم[٢].

البكاء أثر لشعور كامن في النفس، يتدفق تأثراً عند موقف معين يعرض لصاحبه.

---

(١) رواه مسلم: ح(١٢١).

(٢) رواه أحمد: ح(٢٢١٥١) وحسَّن الشيخ شعيب إسناده.

ولما كان الآل والأصحاب ﭬ من أحسن الناس سريرة، وأجملهم علانية، وأصلحهم قلوباً، وأعظمهم إيماناً، فقد عظم خوفهم من اللَّه تعالى، واشتد تأثرهم عند كل موقف يشعرون إزاءه بمسئولية تثقل كاهلهم.

ولما كان الآل والأصحاب يعيشون لغيرهم، كما يعيشون لأنفسهم، ولما كانوا يؤثرون غيرهم على ما في أيديهم، فقد صاروا يفرحون لفرح المسلمين، ويحزنون لحزنهم، ويضحكون لضحكهم، ويبكون لبكائهم.

إن هذه المآقي التي تتحدر منها الدموع كحبات الجمان شاهد صدق على قلوب مفعمة بالإيمان، ونفوس عظم شوقها إلى الكريم المنان.

إن هذه المواقف المتنوعة التي تأثر عندها الآل والأصحاب دليل على أنها وإن كانت مختلفة في الظاهر، ولكن جمعتها رغبة في رضوان اللَّه، وخوف من أليم عقابه.

فتمعن - رعاك اللَّه - في هذه الروائع، فإنها سلوان القلب، وجلاء صداه، وباعث همته.

أصلح اللَّه قلوبنا وإياكم بالإيمان واليقين، وأعاننا على شرور أنفسنا وجعلنا وإياكم من المتقين.

* * *

شباب الآل والأصحاب

روى الترمذي في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم»[(١)].

إن مرحلة الشباب من أخصب مراحل العمر، وأجدرها بحسن العمل؛ ولذا كان المرء محاسَباً عن عمره كله، وعن شبابه بوجه الخصوص.

وليس الشباب قدرة جسد، ولا ثورة مشاعر وسلوك فحسب، بل الشباب همة، وعزيمة، وتوقد، وفكر.

ففترة الشباب من أحفل أطوار العمر بالمشاعر الحارة، والعواطف الفائرة.

ونجاح الأمم يرجع إلى مقدار علو همم شبابها، وإلى مدى آمالهم، وتطلعاتهم.

قال هاشم الرفاعي:

ملكنا هذه الدنيا القرونا   وأخضعها جدود خالدونا

وسطرنا صحائف من ضياء   فما نسى الزمان ولا نسينا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير: ح(٩٧٧٢).

بنينا حقبة في الأرض ملكاً يدعمه شباب طامحونا
شباب ذللوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام دينا
وإن جدَّ المساء فلا تراهم من الأشواق إلا خاضعينا

قال مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها[١].

وجدير بشباب الأمة اليوم أن يقْفوا أثر شباب الأمس، الذين امتلأت قلوبهم إيماناً ويقيناً، فبيضوا صفحات التاريخ بسيرهم العطرة، وأخبارهم المشرقة.

إن شباب الأمة اليوم تعصف بهم عواصف الفتن، وتموج بهم أمواج المحن، ويُكاد لهم ليُصرفوا عن دينهم، وينخلعوا من هويتهم، فيقطعون صلتهم بآبائهم وأجدادهم، ويكونون أشباحاً بلا أرواح، فلا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، ويتبعون من لا خلاق لهم مظهراً وجوهراً.

قال رسول اللَّه ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم». قلنا: «يا رسول اللَّه، اليهود والنصارى؟ قال: فمن»[٢].

وإننا بإذن اللَّه نعول اليوم على شباب الأمة كثيراً، فمع هذه الهجمة الشرسة على أمتنا وشبابنا، إلا أننا بفضل اللَّه نرى طلائع الشباب تعود لدينها عوداً حميداً، فامتلأت بهم المساجد، وعمرت بهم حِلَق القرآن،

---

(١) تنقيح تحقيق أحاديث التعليق: محمد بن عبد الهادي الحنبلي(٣/ ٤٤٢).
(٢) رواه البخاري: ح(٧٣٢٠).

وغُصَّت بهم مجالس العلم، وازدانت بكريم أخبارهم الصحف والمجلات، فما تضع عينك أو أذنك إلا وجدت ما يسرك من العودة الحميدة لشباب الأمة لدينها - فللَّه الحمد والمنة أولًا وآخراً -.

وإن المسئولية باتت مضاعفة على الأُسر أو المربِّين لتوفير البيئة الصالحة، والأرض الخصبة ليطيب المنبت، فتحلو الثمرة بإذن اللَّه.

وينبغي أن تتضافر الجهود اليوم لحماية الشباب من كل مشروع يستهدف أخلاقهم وهويتهم، والأمة باتت بحاجة إلى مشاريع مؤسسية يشرف على تحقيق أهدافها جماعة من الغيورين على دينهم، من أوعية العقل، والفكر، والخلق، والدين.

ومما يساعد على ذلك ربط جيل اليوم بجيل الأمس، وإدمان النظر قراءة، وتعقلًا، وامتثالًا لسير الآل والأصحاب النبيلة، ومواقف الأوائل الجليلة.

اللَّهم احفظ شباب المسلمين، واهد ضالهم، وقيضهم لصلاح الدين، والدنيا. اللَّهم آمين.

*** أسامة بن زيد رضي الله عنه :**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم بعثا وأمَّرعليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمرته، فقام رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إن تطعنوا في إمرته فقد طعنتم في إمرة أبيه من قبله، وأيم اللَّه لقد كان خليقاً للإمرة، وإن كان من أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»[1].

---

(١) رواه مسلم: ح(٢٤٢٦).

وعن أسامة بن زيد، حدث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن فيقول: «اللَّهم أحبهما فإني أحبهما»[١].

*** الحسن والحسين رضي الله عنهما:**

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول- أي عن الحسن والحسين-: «هما ريحانتاي من الدنيا»[٣].

*** معاذ بن جبل رضي الله عنه:**

عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن معاذ بن جبل أمام العلماء رتوة - رمية حجر»[٤].

قال ابن مسعود: إن معاذا كان أمة قانتاً للَّه حنيفاً، فقلت في نفسي: غلط أبو عبد الرحمن إنما قال: إن إبراهيم، قال: أتدري ما الأمة، وما القانت؟ قال: اللَّه أعلم، قال: الأمة الذي يعلم الناس الخير، والقانت المطيع للَّه ورسوله، وكذلك كان معاذ بن جبل يعلِّم الخير، وكان مطيعاً للَّه ورسوله[٥].

---

(١) رواه البخاري: ح(٣٧٣٥)

(٢) أخرجه أحمد: ح(١١٧٩٤) ، والترمذي: ح(٣٧٦٨)وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري: ح(٣٧٥٣).

(٤) صحيح بمجموع طرقه: وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٤٧).

(٥) رواه الطبراني في الكبير: ح(٩٩٦٧).

وعن مسروق عن عبد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبيّ، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»[١].

* **مصعب بن عمير** رضي الله عنه:

نبراس الدعاة وإمام الفاتحين.. الفتى المنعَّم الذي صاغه الإسلام على يديه، تقدم حين نادت المغارم، وذهب إلى لقاء ربه قبل مجيء الغنائم، اختاره اللَّه شهيداً بين يدي رسول اللَّه ﷺ بعد أن أسلم على يديه: أسيد ابن حضير الذي تنزلت الملائكة لتلاوته القرآن، وسعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن.

إنه مصعب غرة فتيان قريش وأوفاهم بهاء وجمالًا وشباباً.. «أعطر أهل مكة» حديث حِسان مكة ولؤلؤة ندواتها ومجالسها، وبعد الإسلام صار بطلًا من أبطال الإيمان والفداء، قصة حياته شرف لبني الإنسان جميعاً.

مصعب الذي لاقى ما لاقى من أمه وقد كان فتاها المدلل، ثم هاجر إلى الحبشة. مصعب الذي كانت ثيابه كزهور الحديقة، نضرة وتألقاً وعطراً، تراه يرتدي بعد ذلك المرقع البالي، خرج من النعمة الوارفة إلى شظف العيش والفاقة، وأصبح الفتى المتأنق المعطر لا يرى إلا مرتدياً أخشن الثياب، يأكل يوماً ويجوع أياماً، ولكن روحه المتأنقة بسمو العقيدة، والمتألقة بنور اللَّه، جعلت منه إنساناً يملأ العين إجلالًا، والأنفس روعة.

(١) رواه البخاري: ح(٤٩٩٩)، ومسلم: ح(٢٤٦٤).

اختاره رسول اللَّه ﷺ لأعظم مهمة في حينها، أن يكون سفيره إلى المدينة، يفقه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول ﷺ عند العقبة، ويفتح المدينة بالقرآن، وبعدها ليوم الهجرة العظيم، وقد كانت هذه السفارة أخطر قضايا الساعة، وألقي بين يدي مصعب بمصير الإسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة، وحمل مصعب الشاب - مصعب الخير- الأمانة، ونجح نجاحاً منقطع النظير، نجاحاً هو له أهل، وبه جدير.

قال البراء: أول من قدم علينا، مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، ثم قدم علينا عمار بن ياسر وبلال رضي الله عنهما[1].

وفي مثل هدوء البحر وقوته، وتهلل ضوء الفجر ووداعته، انساب نور الإيمان على يد مصعب إلى سادات الأنصار: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وسعد بن عبادة. فللَّه دره من شباب يقود ويسيّر جبال الإيمان، ويكون في ميزان حسناته الأنصار من الأوس والخزرج.

ويشهد مصعب غزوة بدر لينال شرف البدرية.. وفي يوم أحد كان حامل اللواء، قال ابن سعد: «حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قمئة وهو فارس، فضربه على يده اليمنى فقطعها، ومصعب يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[2] وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه، فضرب يده اليسرى

---

(١) رواه البخاري: ح(٣٧٠٩).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٤٤).

فقطعها، فحنا على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح، ووقع مصعب، وسقط اللواء[١].. ووقع مصعب.. كوكب الشهداء، ومن كان ذكره عطراً للحياة».

قال أبو وائل: عدنا خباباً فقال: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه اللَّه، فوقع أجرنا على اللَّه، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد وترك نمرة، فكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئاً من إذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها»[٢].

* زيد بن ثابت رضي الله عنه:

عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت. قلت لأنس: مَن أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي[٣].

عن زيد بن ثابت قال: أرسل إلي أبو بكر، مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر ابن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد

---

(١) الطبقات الكبرى: (٣/ ١٢٠).
(٢) أخرجه البخاري: ح(٣٨٩٧) ومسلم: ح(٩٤٠).
(٣) رواه البخاري: ح(٣٨١٠)، ومسلم: ح(٢٤٦٥).

استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول اللَّه ﷺ؟ قال عمر: هذا واللَّه خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللَّه ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه. فواللَّه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول اللَّه؟ قال: هو واللَّه خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾(١) حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه اللَّه، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهما(٢).

*** علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

عن ابن إسحاق قال: أول ذكر آمن برسول اللَّه ﷺ وصلَّى معه وصدَّقه:

---

(١) سورة التوبة الآية (١٠٤).

(٢) رواه البخاري: ح(٤٩٨٦).

علي بن أبي طالب، وهو ابن عشر سنين، وكان في حجر رسول اللَّه ﷺ قبل الإسلام.

وقال محمد بن كعب: «أول من أسلم من هذه الأمة: خديجة، وأول رجلين أسلما: أبو بكر وعلي. وأسلم علي قبل أبي بكر، وكان علي يكتم إيمانه خوفاً من أبيه، حتى لقيه أبوه، قال: أسلمت؟ قال: نعم. قال: وازر ابن عمك وانصره. وعن ابن عباس: أول من صلى: علي. وعن جابر: بُعث النبي ﷺ يوم الاثنين، وصلى علي يوم الثلاثاء»[١].

وجمعاً بين الأقوال كلها: «أول من أسلم من النساء خديجة - وقيل: الرجال أيضاً - وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة، وأول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب، فإنه كان صغيراً دون البلوغ على المشهور، وهؤلاء كانوا إذ ذاك أهل البيت، وأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر الصديق»[٢].

* عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صليت مع النبي ﷺ، فقمت إلى جنبه عن يساره، فأخذني فأقامني عن يمينه. قال ابن عباس: وأنا يومئذ ابن عشر سنين»[٣].

---

(١) البداية والنهاية (٣ / ٢٥).

(٢) البداية والنهاية (٣/ ٢٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح(٣٤٣٧)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

وفي لفظ لمسلم: يقول ابن عباس: ثم ذهبت، فقمت إلى جنبه فوضع رسول اللَّه ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها»[١].

قال النووي: «إنما فتلها، تنبيهاً له من النعاس»[٢].

*** الزبير بن العوام رضي الله عنه:**

حواري رسول اللَّه ﷺ أسلم وهو حدث، له ست عشرة سنة وهو أول من سلَّ سيفه في سبيل اللَّه.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: «عن عروة قال: أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين، ونفحت نفحة من الشيطان أن رسول اللَّه ﷺ أُخذ بأعلى مكة. فخرج الزبير وهو غلام، ابن اثنتي عشرة سنة، بيده السيف، فمن رآه عجب، وقال: الغلام معه السيف! حتى أتى النبي ﷺ، فقال: ما لك يا زبير؟ فأخبره وقال: أتيت أضرب بسيفي من أخذك[٣].

قال يتيم عروة محمد بن عبد الرحمن النوفلي المدني: «هاجر الزبير وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عمه يعلقه ويدخن عليه، وهو يقول: لا أرجع إلا الكفر أبداً»[٤].

وكانت أمه صفية تضربه ضرباً شديداً وهو يتيم، فقيل لها: قتلته، أهلكته، قالت:

---

(١) رواه مسلم: ح(١٨٢٥).
(٢) شرح النووي عل صحيح مسلم (٢/ ٤١١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٤١). والبيهقي في الكبرى: ح(١٢٨٦٣).
(٤) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤).

إنـــمــا أضــربــه لــكــي يــدِب ويــجــر الــجــيــش ذا الــجــلــب

قال عروة بن الزبير: كسر الزبير ذات يوم يد غلام، فجيء بالغلام إلى صفية، فقيل لها في ذلك، فقالت:

كـــيـــف وجـــدت زبـــرا أأقـــطـــا أم تـــمـــرا
أم مـــشـــمـــعـــلاً صـــقـــرا [١]

*** سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه خال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:**

قال موسى بن طلحة: «كان علي، والزبير، وطلحة، وسعد، عذار عام واحد، يعني ولدوا في سنة[٢].

ويقول سعد: «لقد شهدت بدراً، وما في وجهي شعرة واحدة أمسحها بيدي»[٣].

قال سعيد بن المسيب: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: «ما أسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام»[٤].

وروى الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه نزلت فيه آيات من القرآن. قال: «حلفت أم سعد ألا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٤). والمشمعل: السريع.
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٤٥).
(٣) سير أعلام النبلاء (١/ ٩٧).
(٤) رواه البخاري: ح(٣٧٢٧).

تشرب». قالت: زعمت أن اللَّه وصاك بوالديك، وأنا أمك وأنا آمرك بهذا. قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد. فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد. فأنزل اللَّه عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[1]، ﴿وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾[2] وفيها: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3][4].

*** عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه:**

«عن سعد بن أبي وقاص قال: ردَّ رسول اللَّه ﷺ عمير بن أبي وقاص عن بدر، استصغره، فبكى عمير، فأجازه، فعقدت عليه حمالة سيفه، ولقد شهدت بدراً، وما في وجهي شعرة واحدة أمسحها بيدي»[5].

*** معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن الحارث «معاذ بن عفراء»، ومعوذ بن الحارث:**

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: «بينا أنا واقف في الصف يوم بدر. نظرت عن يميني وشمالي. فإذا أنا بين غلامين من الأنصار. حديثة أسنانهما. تمنيت لو كنت بين أضلع منهما. فغمزني أحدهما. فقال: يا

(١) سورة العنكبوت الآية (٨).
(٢) سورة العنكبوت الآية (٨).
(٣) سورة لقمان الآية (١٥).
(٤) رواه مسلم: ح(١٧٤٨).
(٥) تاريخ دمشق: (٢٠/ ٢٩٨)- سير أعلام النبلاء (١/ ٩٧).

عم! هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت: نعم. وما حاجتك إليه؟ يا ابن أخي! أخبرت أنه يسب رسول اللَّه ﷺ. والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. قال: فتعجبت لذلك. فغمزني الآخر فقال مثلها. قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس. فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه. قال: فابتدراه، فضرباه بسيفهما، حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى رسول اللَّه ﷺ. فأخبراه. فقال«أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته. فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: «كلاكما قتله» وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح. «والرجلان: معاذ بن عمر بن الجموح ومعاذ ابن عفراء»(١).

وعند البخاري: عن عبد الرحمن بن عوف: «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم، أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي، ما تصنع به؟ قال: عاهدت اللَّه إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله. قال: فما سرني أنني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه، وهما ابنا عفراء»(٢).

---

(١) رواه البخاري: ح(٣١٤١)، ومسلم: ح(١٧٥٢).
(٢) رواه البخاري: ح(٣٩٨٨).

وعن أنس ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ يوم بدر: «من ينظر ما صنع أبو جهل؟». فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. فقال: آنت أبا جهل؟ قال ابن علية: قال سليمان: هكذا قالها أنس. قال: آنت أبا جهل؟ قال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو قال: قتله قومه. قال: وقال أبو مجلز: قال أبو جهل: فلو غير أكار قتلني[١].

وقال معاذ بن عمرو: جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني. فلما أمكنني، حملت عليه فضربته، فقطعت قدمه بنصف ساقه. وضربني ابنه عكرمة بن أبي جهل على عاتقي، فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجنبي، وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني، وضعت قدمي عليها، ثم تمطأت عليها حتى طرحتها».

قال الذهبي معلقاً: «هذه واللَّه الشجاعة، لا كآخر من خدش بسهم ينقطع قلبه، وتخور قواه»[٢].

* **الحسين بن علي ﵁:**

عن الحسين ﵁ قال: «صعدت المنبر إلى عمر، فقلت: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال: إن أبي لم يكن له منبر! فأقعدني معه، فلما نزل، قال: أي بني، مَن علمك هذا؟ قلت: ما علمنيه أحد. قال: أي بني، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا اللَّه ثم أنتم! ووضع يده على رأسه،

---

(١) رواه البخاري: ح(٤٠٢٠)، ومسلم: ح(١٨٠٠). والأكار: الزارع والفلاح، وكان أهل مكة يستخفون بالزراعة، وكان الذين قتلوه من الأنصار من أهل الزراعة. سير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٥٠).

وقال: أي بني، لو جعلت تأتينا وتغشانا»[١].

* زين العابدين علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

ومَن مثل زين العابدين في صبره! وهو صبي يشاهد قتل أبيه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعه سبعة عشر رجلًا، كلهم من أولاد فاطمة، وما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه... يشاهد هذا الصبي الطيب اثنين وسبعين نفساً من أصحاب أبيه وأهل بيته قتلى.

ولما دخل وهو غلام على ابن زياد، فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا علي ابن الحسين. قال: أو لم يقتل اللَّه علي بن الحسين؟ فسكت. فقال له ابن زياد: ما لك لا تتكلم؟ قال: كان لي أخ يقال له: علي أيضاً، قتله الناس. قال: إن اللَّه قتله. فسكت. فقال: ما لك أن تتكلم؟ فقال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٢]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٣][٤].

ولما دخل على يزيد بن معاوية قال له: يا علي، أبوك قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني، فصنع اللَّه به ما قد رأيت. فقال علي: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾[٥][٦].

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه (١/ ١٤١)، والحافظ في الإصابة (١/ ٣٣٣) وصحح إسناده. وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٨٥): وإسناده صحيح.
(٢) سورة الزمر الآية (٤٣).
(٣) سورة آل عمران الآية (١٤٥).
(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٩٤).
(٥) سورة الحديد الآية (٢٢).
(٦) البداية والنهاية (٨/ ١٩٤).

* عبد اللَّه بن جعفر الطيار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

«دخل أبو سفيان بن حرب على ابنته أم حبيبة زوج النبي ﷺ، فرأى عندها عبد اللَّه بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو صبي. فقال لها: أي بنية، من هذا الغلام الذي يتضوع كرماً، ويتألق شرفاً، ويتميع حياءً؟ فقالت: مَن تظنه يا أبت؟ فقال: أما الشمائل فهاشمية. فقالت: نعم، هو هاشمي، فمن تظنه من بني هاشم؟ فتأمله، ثم قال: إذا لم يلده جعفر فلست بسداد البطحاء. فقالت أم حبيبة: نعم هو ابن جعفر، فقال أبو سفيان: أما إنه لم يمت من خلف مثل هذا.

يروى أن عمر بن الخطاب قسم مالًا في أبناء المهاجرين، فبدأ بأهل البيت، وأراد أعرابي أن يدخل معهم، فمنع، وجاء عبد اللَّه بن جعفر، وهو صبي، فلما رآه الفاروق قال: مرحباً بابن الطيار، ادخل. فسمعها الأعرابي، فقبض على يد عبد اللَّه وهو لا يعرفه، لكنه سمع كلمة الفاروق، وعلم أنه مكين عنده، فأنشأ يقول:

ألا هل أتى الطيار أني محلًا عن الورد والفاروق يراى ويسمع
وما ضر إن لم يأته ذاك فابنه نهوض بعبء الجار ندب سميدع

فقال عبد اللَّه: كن بمكانك يا أخا العرب. ودخل، فأعطاه الفاروق ألف درهم، فخرج بها، فأعطاها الأعرابي»[1].

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن شابه أبه فما ظلم

(١) أنباء نجباء الأبناء: ابن ظفر الصقلي، ص(١٠٣).

نعم؛ هذه هي حقيقة أبناء الآل والأصحاب رضوان اللَّه عليهم، فإنهم لما هيىء اللَّه تعالى لهم آباءً وأمهات صالحين، يأمرون بالخير، وينهون عن الشر، وينيرون لهم سبيل الاستقامة، أصلحهم اللَّه، وبارك في أعمالهم.

إن كل واحد من هؤلاء الشباب، لو أمعنت النظر في سيرته، طفلًا، وفتى، وكهلًا، وشيخاً، لوجدته على طريق صالح واحد لا يحيد عنه قيد أنملة.

إنها الاستقامة التي تلقى أصولها، ومبادئها منذ صغره، وربيّ عليها، ونشأ، حتى غدت نوراً يستضيء به في حياته كلها، فصار علماً للَّهدى، ورجماً للعدا.

إن أبناءنا بحاجة إلى قدوة صالحة من أهليهم، ولو كان قدوة صامتاً، ينطق فعله، قبل قوله، فلا يرى فيه ابنه إلا مرشداً للخير، وباعثاً على اقتداء غيره به.

والقرين بالمقارن يقتدي

اللَّهم أصلح شباب المسلمين، واهد ضالهم.

❊ ❊ ❊

شعر الآل والأصحاب

العرب أمة سجدت للبيان قبل أن تسجد للأوثان، وما سمي العرب عرباً إلا لإعرابهم، وفصاحتهم، وبيانهم.

قال بعض الحكماء: أنزل اللَّه الحكمة على ثلاث: على العرب في ألسنتهم، وعلى الصين في أيديهم، وعلى الروم في عقولهم.

وقد أقام العرب أسواقاً للشعر، والخطابة، وكانت محل عنايتهم، وافتخارهم، وحرصوا عليها أكثر من حرصهم على أسواق البيع والشراء كسوق عكاظ، وغيرها.

وكانوا يفرحون بنبوغ الشاعر أكثر من فرحهم بشيء غيره، لأنه يمثل اللسان الناطق للقبيلة، ولما قتل عمرو بن كلثوم التغلبي عمر بن هند، وأنشد فيه قصيدته التي تغنى بها بنو تغلب في نواديهم، ومجالسهم، قال شاعر يهجوهم:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وقد أنزل اللَّه سبحانه القرآن بلسان العرب، وتحداهم أن يأتوا بمثله، أو بعض منه فعجزوا.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ

كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(١).

وسمع النبي ﷺ الشعر وأثنى عليه في مواقف مشهورة منها:

ما ورد في صحيح البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة فيقول: يا أبا هريرة نشدتك باللَّه، هل سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: يا حسان أجب عن رسول اللَّه، اللَّهم أيده بروح القدس؟ قال أبو هريرة: نعم(٢).

ومما يروى أنه بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة اشتد هجاء الشعراء المشركين له، مثل عبد اللَّه بن الزبعري، وضرار بن الخطاب، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص، فقال النبي ﷺ للأنصار: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول اللَّه بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها يا رسول اللَّه. قال الرسول الكريم: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: واللَّه لأسلّنك منهم كما تُسل الشعرة من العجين، فقال له النبي ﷺ: اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم، ثم اهجهم وجبريل معك(٣).

وحين أنشد حسَّان قصيدته التي ردَّ بها على أبي سفيان بن الحارث دعا له الرسول ﷺ بالجنة مرتين.

---

(١) سورة الإسراء الآية (٨٨).

(٢) رواه البخاري: ح(٤٤٢).

(٣) انظر: تاريخ دمشق(٢٨/ ٩٦). أسد الغابة (٢/ ٤).

ومن قول حسان في الدفاع عن الرسول ﷺ:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند اللَّه في ذاك الجزاء

هجوت محمداً براً تقياً رسول اللَّه شيمته الوفاء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء[(١)]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه[(٢)].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الشعر ميزان العقول[(٣)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الشعر ديوان العرب[(٤)].

وقد كان الشعر عبر تاريخ هذه الأمة من أعظم وسائل التعبير عن مشاعرها في الأفراح والأحزان، وسطرت في ذلك دواوينها الشعرية التي لا تعد ولا تحصى.

والأمة بحاجة اليوم إلى جيلٍ ينشأ محباً للعربية، متذوقاً لها، مقيماً للسانه، نائياً عن عجمة أبعدته كثيراً عن لغة القرآن، حتى صيرته لا يقيم جملة واحدة، ولا يعرف جمال اللغة العربية وروعتها، في وقت عظم فيه التفاف بعض أبناء العربية للغات الأعجمية، وتراطنوا بها افتخاراً، وما هو إلا هزيمة نفسية، وافتتان بثقافات أخرى بلا بصيرة، ولا عقل.

ورحم اللَّه شاعر النيل حافظ إبراهيم الذي أطلق صرخاته من نحو قرن،

---

(١) رواه مسلم: ح(٢٤٩٠).

(٢) المحصول للرازي: (١/ ٢٩٠).

(٣) العمدة في محاسن الشعر: ابن رشيق القيرواني (١/ ٣).

(٤) تفسير القرطبي: (١/ ٢٤).

وتحدث بلسان اللغة العربية قائلًا:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعرائسي ... رجالًا وأكفاء وأدت بناتي
وسعت كتاب اللَّه لفظ وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظاتي
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

ولأن الآل والأصحاب كغيرهم من العرب والمسلمين ممن يتذوقون الشعر، ويعرفون حسنه من قبيحه، فقد سطرت لهم كتب التاريخ والسير والتراجم قصائد، وأشعاراً حافلة، نذكر هذه الطُرف منها.

*** حرام بن ملحان رضي الله عنه:**

جرح حرام بن ملحان يوم بئر معونة، فقال الضحاك بن سفيان الكلابي، وكان مسلماً يكتم إسلامه، لامرأة من قومه: هل لك في رجلٍ إن صح فنعم الراعي؟ فضمته إليها وعالجته، فسمعته وهو يقول:

أتت عامر ترجو الهوادة بيننا ... وهل عامر إلا عدو مداجن
إذا ما رجعنا ثم لم تك وقعة ... بأسيافنا في عامر ونطاعن
فلا ترجونا أن يقاتل بعدنا ... عشائرنا والمقربات الصوافن

فلما سمعوا ذلك وثبوا عليه فقتلوه[(١)].

---

(١) أسد الغابة (١/ ٧١٣).

* **حسان بن ثابت رضي الله عنه :**

حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي، أمه الفريعة بنت خالد الخزرجي. كنيته أبو عبد الرحمن، أو أبو الوليد. شاعر معمِّر مخضرم، وهو شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وشاعر الأنصار، وشاعر اليمن في الإسلام. كان رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ينصب له منبراً في المسجد، يقوم عليه يفاخر عن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم.

طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حسان أن يرد على أحد الشعراء الذي ذكر فضل قومه، فقال حسان:

نصرنا رسول اللَّه والدين عنوة ... على رغم عات من معد وحاضر
بضرب كإبزاغ المخاض مشاشه ... وطعن كأفواه اللقاح الصوادر
وسل أحدا يوم استقلت شعابه ... بضرب لنا مثل الليوث الخوادر
ألسنا نخوض الموت في حومة الوغى ... إذا طاب ورد الموت بين العساكر
ونضرب هام الدارعين وننتمي ... إلى حسب من جذم غسان قاهر
فأحياؤنا من خير من وطئ الحصى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر
فلولا حياء اللَّه قلنا تكرما ... على الناس بالخيفين هل من منافر

وقال حسان يمدح رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم:

أغرٌ عليه للنبوة خاتم ... من اللَّه مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

نـبـي أتـانـا بـعـد يـأسٍ وفـتـرةٍ ... من الرسل، والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأنـذرنـا نـاراً وبـشـر جـنـةً ... وعلَّمنا الإسلام فاللَّه نحمد[1]

*** عبد اللَّه بن رواحة رضي الله عنه :**

ورد في الطبقات عن مدرك بن عمارة قال: قال عبد اللَّه بن رواحة: مررت في مسجد الرسول ورسول اللَّه ﷺ، جالس وعنده أناس من أصحابه في ناحيةٍ منه، فلما رأوني أضبوا إلى: يا عبد اللَّه بن رواحة، يا عبد اللَّه بن رواحة. فعلمت أن رسول اللَّه دعاني، فانطلقت نحوه فقال: اجلس هاهنا، فجلست بين يديه فقال: كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول! كأنه يتعجب لذاك، قال: أنظر في ذاك ثم أقول، قال: فعليك بالمشركين. ولم أكن هيأت شيئاً، قال: فنظرت في ذلك ثم أنشدته فيما أنشدته:

خبروني أثمان العباء متى ... كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

قال: فرأيت رسول اللَّه ﷺ، كره بعض ما قلت، أني جعلت قومه أثمان العباء، فقلت:

يا هاشم الخير إن اللَّه فضلكم ... على البرية فضلًا ما له غير
إني تفرست فيك الخير أعرفه ... فراسة خالفتهم في الذي نظروا
ولو سألت أو استنصرت بعضهم ... في جل أمرك ما آووا ولا نصروا

(١) أسد الغابة (٢/ ٦-٩)، والإصابة (٢/ ٦٢-٦٥). البداية النهاية (٦/ ٣١٧).

فثبت اللَّه ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

قال: فأقبل بوجهه مبتسماً وقال: وإياك فثبت اللَّه[١].

وعن ابن إسحاق قال: حدثني عبد اللَّه بن أبي بكر بن حزم أن عبد اللَّه بن رواحة قال حين أخذ الراية يومئذ- يوم مؤتة:-

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ما لي أراك تكرهين الجنة

قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنه

قال ابن إسحاق: وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت

وإن تأخرت فقد شقيت

يريد جعفراً وزيداً رضي الله عنهما قال: ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل[٢].

* **أبو ذؤيب الهذلي** رضي الله عنه:

قال أبو ذؤيب يبكي النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فهناك صرت إلى الهموم ومن يبت جار الهموم يبيت غير مروح

كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وتضغضغت آطام بطن الأبطح

(١) الطبقات الكبرى: (٣/ ٥٢٧).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى: ح(١٨٩٤٠). والطبراني في الكبير: ح(١٩٦). وقال الحافظ الهيثمي في المجمع: (٦/ ١٥٤)ح: (١٠٢٢١): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

وتزعزعت أجبال يثرب كلها ... ونخيلها لحلول خطب مفدح

وقال في رثاء بنيه الخمسة:

أمن المنون وريبها تتوجع؟ ... والدهر ليس بمعتب من يجزع
أودى بني وأعقبوني حسرة ... بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم ... وإذا المنية أقبلت لا تدفع
وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع
ولقد أرى أن البكاء سفاهة ... ولسوف يولع بالبكاء من يفجع[(١)]

*** سراقة بن مالك رضي الله عنه:**

روى ابن عيينة عن أبي موسى عن الحسن: أن رسول اللَّه ﷺ قال لسراقة: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه؟» فلما أُتي عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة، وكان كثير الشعر، فألبسه، وقال له: ارفع يديك، وقل الحمد للَّه الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي[(٢)].

قال سراقة لأبي الجهل:

أبا حكم واللَّه لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإنني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه

---

(١) أسد الغابة (٢/ ١٠٠).
(٢) أسد الغابة (٢/ ٢٦٦)، الإصابة (٣/ ٣٥).

بأمر يود الناس فيه بأسرهم   بأن جميع الناس طراً يسالمه[١]

* **أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

أبو سفيان شاعر، هجا النبي ﷺ في بداية الدعوة ثم أسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه. توفي سنة ٢٠ هـ وصلَّى عليه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

قال يبكي النبي ﷺ :

أرقت فبات ليلي لا يزول   وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما   أصيب المسلمون به قليل
فقد عظمت مصيبته وجلت   عشية قيل: قد قبض الرسول
وتصبح أرضنا مما عراها   تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا   يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه   نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا   بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالًا   علينا والرسول لنا دليل
فلم نر مثله في الناس حيا   وليس له من الموتى عديل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر   وإن لم تجزعي فهو السبيل
فعودي بالعزاء فإن فيه   ثواب اللَّه والفضل الجزيل
وقولي في أبيك ولا تملي   وهل يجزى بفعل أبيك قيل
فقبر أبيك سيد كل قبر   وفيه سيد الناس الرسول[٢]

(١) أسد الغابة (١/ ٤١٤).
(٢) أسد الغابة (٦/ ١٤٣).

*** سويد بن الصامت ﵁ :**

قدم سويد بن الصامت إلى مكة حاجاً، فتصدى له رسول اللَّه ﷺ وتلا عليه بعض الآيات القرآنية، ودعاه إلى الإسلام. ثم انصرف سويد وقدم المدينة على قومه، فقتلته الخزرج. وكان قتله يوم بعاث. كان شاعراً محسناً. دعاه قومه الكامل للحكمة التي في شعره.

قال سويد:

ألا رب من تدعو صديقاً ولو ترى ... مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشهد ما كان شاهداً ... وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه ... نميمة غش تبتري عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم ... من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فرشني بخير طالما قد بريتني ... وخير الموالي من يريش ولا يبري[1]

*** ضرار بن الأزور ﵁ :**

لما قدم ضرار على رسول اللَّه ﷺ كان له ألف بعير يرعاها، فأخبره بما خلف، وقال: يا رسول اللَّه، قد قلت شعراً. فقال ﷺ: «هيه». فقال ضرار:

خلعت القداح وعزف القيان ... والخمر أشربها والثمالا
وكري المحير في غمرة ... وجهدي على المسلمين القتالا
وقالت جميلة: شتتنا ... وطرحت أهلك شتى شمالا

(١) أسد الغابة (٢/ ٥٩٥).

فيا رب لا أغبنن صفقتي فقد بعت أهلي ومالي بدالا

فقال النبي ﷺ له: ما غبنت صفقتك يا ضرار[١].

* **عبد اللَّه بن الزبعرى** رضي الله عنه :

شاعر مخضرم، هجا النبي ﷺ، ثم أسلم واعتذر إليه ومدحه، فأمر له بحلة.

قال ابن الزبعرى لما أسلم:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام بما قلت فنفسي الشهيد أنت النذير

إن ما جئتنا به حق صدق ساطع نوره مضيء منير

جئتنا باليقين والبر والصدق وفي الصدق واليقين سرور

أذهب اللَّه ضلة الجهل عنا وأتانا الرخاء والميسور[٢]

* **عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب** رضي الله عنه :

حج عبد اللَّه بن عباس لما حصر عثمان، وكان عبد اللَّه قد عمي في آخر عمره، فقال في ذلك:

إن يأخذ اللَّه من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور[٣]

---

(١) أسد الغابة (٣/ ٥٢)، الإصابة (٣/ ٤٨٢).

(٢) أسد الغابة (٣/ ٢٣٤٩)، الإصابة (٤/ ٨٨).

(٣) أسد الغابة (٣/ ٢٩٥).

*** عمرو بن الجموح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**

أتى عمرو بن الجموح النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أرأيت إن قاتلت في سبيل اللَّه حتى أقتل أمشي برجلي هذه في الجنة؟ قال ﷺ: نعم. وكانت رِجله عرجاء حينئذ[(١)].

قال عمرو حين أسلم ناعياً ما كان يعبد من أوثان ومعلناً توحيد الديان:

تاللَّه لو كنت إلهاً لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لمصرعك إلهاً مستدن ... الآن فتشناك عن سوء الغبن
فالحمد للَّه العلي ذي المنن ... الواهب الرزاق وديان الدين
هو الذي أنقذني من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن[(٢)]

وقال تائباً:

أتوب إلى اللَّه مما مضى ... وأستغفر اللَّه من ناره
وأثني عليه بآلائه ... بإعلان قلبي وإسراره[(٣)]

*** عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :**

قال عمرو بن العاص:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منه وغادر سبة ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما[(٤)]

---

(١) الإصابة (٤/ ٥٠٨).
(٢) أسد الغابة (٣/ ١٩٥). تاريخ الإسلام (١/ ٣٠٩).
(٣) الإصابة (٤/ ٦١٧).
(٤) أسد الغابة (٣/ ٢٣٤).

* **قيس بن عاصم المنقري:**

قال في تحريم الخمر:

رأيت الخمر صالحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله، أشربها صحيحا ... ولا أشفي بها أبداً سقيما
ولا أعطي بها ثمناً حياتي ... ولا أدعو لها أبداً نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها ... وتجنيهم بها الأمر العظيما[(١)]

وقيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري، حضرته يوماً قاعداً بفناء داره، محتبياً بحمائل سيفه يحدثنا، إذ جاؤوا بابن له قتيل وابن عم له كتيف، فقالوا: هذا ابن أخيك قتل ابنك، فو اللَّه ما حل حبوته ولا قطع كلامه، حتى إذا فرغ من الحديث التفت إلى ابن أخيه، وقال له: يا ابن أخي أثمت بربك، ورميت نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمك. ثم قال لابن له آخر: يا بني قم إلى ابن عمك فأطلقه، وإلى أخيك فادفنه، وإلى أم القتيل فأعطها مائة ناقة دية ابنها، فإنها غريبة لعلها تسلو عنه، ثم أنشأ يقول:

إني امرؤ لا يعتري خلقي ... دنس يهجنه ولا أفن
من منقر في بيت مكرمة ... والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم ... بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون بعيب جارهم ... وهم لحسن جواره فطن[(٢)]

---

(١) أسد الغابة (٤/ ٤١٢).

(٢) معجم الشعراء ص(١٨٠). وانظر: الاستيعاب (٣/ ١٢٩٥).

*** كعب بن زهير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :**

كعب شاعر مخضرم هجا في البداية النبي ﷺ، فأهدر النبي ﷺ دمه، ثم أسلم وقال في رسول اللَّه ﷺ لاميته الشهيرة ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يُجزَ مكبول

ومنها:

أنبئت أن رسول اللَّه أوعدني ... والعفو عند رسول اللَّه مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... أذنب وإن كثرت في الأقاويل
إن الرسول لنور يستضاء به مهند ... من سيوف اللَّه مسلول[(١)]

وقال:

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعي الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر[(٢)]

*** كعب بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :**

قال كعب بن مالك:

ونحن وردنا خيبراً وفروضه ... بكل فتى عاري الأشاجع مذود
جواد لدى الغايات لا واهن القوى ... جريء على الأعداء في كل مشهد

---

(١) ديوانه ص(٣٧).
(٢) أسد الغابة (٤/ ٤٥٠).

عظيم رماد القدر في كل شتوة ضروب بنصل المشرفي المهند
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة من اللّه يرجوها وفوزا بأحمد
يذود ويحمين ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليد[١]

قال ابن سيرين: بلغني أن دوساً إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك:

قضينا من تهامة كل وتر وخيبر ثم أغمدنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت قواطعهن: دوسا أو ثقيفا
نطيع نبينا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤوفا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل ونجعلكم لنا عضدا وريفا
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا[٢]

* **النابغة الجعدي** رضي الله عنه:

قدم النابغة الجعدي إلى رسول اللّه ﷺ وأنشده:

أتيت رسول اللّه إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أوجرا
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا
ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

---

(١) ديوانه ص(٤١).

(٢) ديوانه ص(٦٦).

فقال رسول اللَّه ﷺ: «لا يفضض اللَّه فاك». فيقال: فبقي عمره لم تنقض له سن[١].

*** أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها:**

قالت في رثاء رسول اللَّه ﷺ:

ألا يا رسول اللَّه كنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا
كان على قلبي لذكر محمد ... وما جمعت بعد النبي المجاويا
أفاطم صلى اللَّه رب محمد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا[٢]

وقالت ترثي والدها عبد المطلب وأخواتها:

بكت عيني وحق لها البكاء ... على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليقة أبطحي ... كريم الخيم شيمته العلاء
على الفياض شيبة ذي المعالي ... أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظمي ... له المجد المقدم والثناء
ومعقل مالك وربيع فهر ... وفيصلها إذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجودا ... وبأسا حين تنسكب الدماء
إذا هاب الكماة الموت حتى ... كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قدما بذي رأي مصيب ... عليه حين تبصره البهاء[٣]

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٥/ ٨)، أسد الغابة (٥/ ٢٧٧).
(٢) الإصابة (٧/ ٤٨١).
(٣) الدر المنثور، ص(٢٥). وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١١٢).

*** زينب بنت العوام** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :

قالت ترثي أخاها الزبير وابنها عبد اللَّه بن حكيم الذي قتل في يوم الجمل:

أعَيني جودا بالدموع فأسرعا ... على رجل طلق اليدين كريم

زبير وعبد اللَّه ندعو لحادث ... وذي خلة منا وحمل يتيم

قتلتم حواري النبي وصهره ... وصاحبه فاستبشروا بجحيم

وقد هدني قتل ابن عفان قبله ... وجادت عليه عبرتي بسجوم

وكيف بنا أم كيف بالدين بعدما ... أصيب ابن أروى وابن أم حكيم(١)

*** صفية بنت عبد المطلب بن هاشم** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :

قالت صفية في رثاء النبي ﷺ :

ألا يا رسول اللَّه كنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا

وكنت رحيما هاديا ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا

فدى لرسول اللَّه أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا

فلو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا

عليك من اللَّه السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا(٢)

ومما قالته في الفخر والحماسة:

ألا من مبلغ عني قريشا ... ففيم الأمر فينا والإمار

---

(١) أسد الغابة (٧/ ١٣٤).

(٢) الدر المنثور ص(٢٦٢).

لنا السلف المقدم قد علمتم   ولم توقد لنا بالغدر نار
وكل مناقب الأخيار فينا   وبعض الأمر منقصة وعار[(١)]

*** عاتكة بنت زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :**

شهد زوجها عبد اللَّه بن أبي بكر الصديق الطائف مع رسول اللَّه ﷺ، فرمي بسهم فمات منه بالمدينة، فقالت عاتكة ترثيه:

رزئت بخير الناس بعد نبيهم   وبعد أبي بكر وما كان قصرا
فلله عينا من رأى مثله فتى   أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها   إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا
فآليت لا تنفك عيني حزينة   عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة   وما طرد الليل الصباح المنورا[(٢)]

وقالت في رثاء الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن تزوجته وقتل عنها:

عين جودي بعبرة ونحيب   لا تملي على الإمام النجيب
فجعتني المنون بالفارس المعلم   يوم الهياج والتلبيب
عصمه الناس والمعين على الدهر   غياث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبؤس موتوا   قد سقته المنون كأس شعوب

ثم تزوجت الزبير بن العوام فقتل عنها، فقالت ترثيه وتخاطب عمرو بن جرموز الذي قتله غدرا:

---

(١) الدر المنثور ص(٢٦٢).
(٢) أسد الغابة (٧/ ١٨١).

غدر ابن جرموز بفارس بهمة — يوم اللقاء وكان غير معرد

يا عمرو لو نبهته لوجدته — لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد

إن الزبير لذو بلاء صادق — سمح سجيته كريم المشهد

كم غمرة قد خاضها لم يثنه — عنها طرادك يا ابن فقع القردد

ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله — ممن مضى ممن يروح ويغتدي

واللَّه ربك إن قتلت لمسلما — حلت عليك عقوبة المتعمد[1]

إن من رحمة اللَّه بنا أن عدّد سبل الخير الموصلة إليه، ومن أجل ذلك أيضاً ولغيره عدّد أبواب الجنة، فليس كل الناس يطيق العلم، أو الصيام، أو الجهاد.

ولذا فقد قرر العلماء أن الطائفة المنصورة، أو الفرقة الناجية هي التي تنصر دين اللَّه عز وجل علماء كانوا أم عباداً، أم مجاهدين، أم أطباء، أم مهندسين، أم مزارعين.

فانظر نفسك أي عمل تحسنه، فوظفه في طاعة اللَّه، وخدمة دينه، واحتسب الأجر منه في كل خطوة تخطوها إليه.

ولما كان الشعر ميداناً من الميادين التي يمكن أن يُنشر الخير بها، ولما كان يعد - قديماً - إحدى أهم الوسائل الإعلامية التي ينصر بها أي رأي - حقاً كان أم باطلًا -، فقد حرص الآل والأصحاب رضي الله عنهم على توظيف هذه المهارة فيما يحبه اللَّه ويرضاه.

---

(١) الدر المنثور ص(٣٢١). وانظر: أسد الغابة (٥/ ٤٩٨).

فأنشدوا أشعارهم في حب اللَّه ورسوله ﷺ، والدفاع عن الإسلام، والدعوة إلى الخير، والتحذير من الشر.

وما زالت هذه المهارة ماضية إلى يومنا هذا، وإلى قيام الساعة من شعراء تجود قرائحهم بحسن المباني وكريم المعاني، وبعضهم قد لا يملك غير هذا.

لا خيل عندك تهديها ولا مال　　فليسعد النطق وإن لم يسعد الحال

❊ ❊ ❊

مزاح الآل والأصحاب

يقول أحمد أمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس المبتسمون للحياة أسعد حالًا لأنفسهم فقط، بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالًا للمسئولية، وأصلح لمواجهة الشدائد، ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم وتنفع الناس».

الضحك المعقول، والسرور المحمود، والابتسامة المشرقة من أبرز الأسباب، وأجدى البواعث التي تدفع النفس إلى النشاط والهمة، ومواصلة النجاح.

وعظيم العظماء، وإمام الأنبياء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان قد جعل الابتسامة صفة ملازمة له، بل هي صفة اتصف بها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام.

قال تعالى في خبر نبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[1].

وفي صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) سورة النمل الآية (١٨-١٩).

مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم»[١].

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن الابتسامة دين ندين اللَّه تعالى به، وخلق كريم نثاب عليه، فقال «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[٢].

والإنسان لا يمكنه أن يسع الناس، ويكسب رضاهم بالأموال فقط، ولكنه يستطيع ذلك بحسن الخلق، ولطيف العشرة، وجمال الابتسامة.

قال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء، لأن البِشْر يطفىء نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي، ومن بشَّ للناس وجهاً لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك»[٣]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس إليه بالمزاح، وترك التعبس، والمزاح على ضربين: مزاح محمود، ومزاح مذموم، فأما المزاح المحمود فهو الذي لا يشوبه ما كره اللَّه عز وجل، ولا يكون فيه إثم ولا قطيعة رحم، وأما المذموم فالذي يثير العداوة، ويذهب البهاء، ويقطع الصداقة، ويجرىء الدنيء عليك، ويحقد الشريف به»[٤].

والأبحاث والدراسات اليوم تؤكد أن معظم أعراض الاكتئاب، أو الملل، أو الضيق تنشأ من الاستغراق في العمل الجاد بصورة دائمة، فيكون الإنسان

(١) رواه البخاري: ح(٥٧٤١).
(٢) رواه الطبراني في الأوسط: ح(٨٣٤٢).
(٣) روضة العقلاء، ابن حبان، ص(٧٥)
(٤) روضة العقلاء، ص(٧٥).

ضجراً، ملولًا، ثائراً، عصبي المزاج.

والضحك يدفع الإنسان إلى مواصلة عمله بنشاط، ونفس طيبة، وكلما كان الإنسان أكثر هدوءاً كان أقدر على تحقيق أهدافه، فالشخصية الباسمة أقرب إلى النجاح من غيرها.

كن بلسماً إن صار دهرك أرقما ... وحلاوة إن صار غيرك علقما
إن الحياة حبتك كل كنوزها ... لا تبخلن على الحياة ببعض ما
من ذا يكافىء زهرة فواحة؟ ... أو من يثيب البلبل المترنما؟
لو لم تفح هذي، وهذا ما شدا ... عاشت مذممة وعاش مذمما
أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا ... لولا الشعور الناس كانوا كالدمى

إننا حين نتأمل الآل والأصحاب ﷺ، وهم خير الناس بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام نجد أنهم كانوا يفرحون، ويضحكون، ويمازح بعضهم بعضاً.

ومع ما نقل عنهم من ضحك، ومزاح إلا أن الإيمان في قلوبهم كان كالجبال الرواسي، وكانوا لا يدعون حظهم من عبادة، و علم، وسعي في الخير ﷺ؛ لذا ينبغي لمن عُرف بالمزاح أن يكون متزناً، رزيناً، وأن يحافظ على هيبته، ووقاره.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به»[1].

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/ ١٧٥).

وقال بعض الحكماء: إياك والمشي في غير أدب، والضحك من غير سبب.

رزقنا اللَّه وإياكم إيمانا في قلوبنا، واطمئناناً في نفوسنا.

* بعض الصحابة رضوان اللَّه عليهم:

ترامي الصحابة بالبطيخ: عن بكر بن عبد اللَّه قال: كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال. قال: قلت لابن سيرين: هل كانوا يتمازحون؟ قال: ما كانوا إلا كالناس[(١)].

* عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما:

كان ابن عمر رضي الله عنه يمزح وينشد:

يحب الخمر من مال الندامى ويكره أن تفارقه الفلوس[(٢)]

* النعيمان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:

عن أم سلمة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه خرج إلى بصرى، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة رضي الله عنهما وكلاهما بدري، وكان سويبط على الزاد، فقال له نعيمان: أطعمني، قال: حتى يجيء أبو بكر، وكان نعيمان مضحاكاً مزاحاً، فذهب إلى ناس جلبوا ظهراً، فقال: ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً؟ قالوا: نعم، قال: إنه ذو لسان، ولعله يقول: أنا حر، فإن كنتم

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٣) ح(١٣١٠٨). وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ح(١٣٠٦٦) وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/٣)، ح(١٣١٠٨) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

تاركيه لذلك، فدعوني لا تفسدوه علي، فقالوا: بل نبتاعه، فابتاعوه منه بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها، وقال: دونكم هو هذا، فقال سويبط: هو كاذب أنا رجل حر، قالوا: قد أخبرنا خبرك، فطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر، فأخبر فذهب هو وأصحابه إليهم فردوا القلائص، وأخذوه ثم أخبروا النبي ﷺ بذلك فضحك هو أصحابه منها حولًا[١].

وعن ربيعة بن عثمان رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فدخل المسجد، وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبي ﷺ - لنعيمان بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه وكان يقال له النعيمان: لو نحرتها، فأكلناها فإنا قد قرمنا إلى اللحم، ويغرم رسول اللّه ﷺ ثمنها، قال: «فنحرها النعيمان، ثم خرج الأعرابي، فرأى راحلته، فصاح: واعقراه يا محمد، فخرج النبي ﷺ فقال: «من فعل هذا؟» قالوا: النعيمان، فأتبعه يسأل عنه، فوجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنها قد اختفى في خندق، وجعل عليه الجريد والسعف، فأشار إليه رجل ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول اللّه، وأشار بأصبعه حيث هو، فأخرجه رسول اللّه ﷺ وقد تغيَّر وجهه بالسعف الذي سقط عليه، فقال له: «ما حملك على ما صنعت؟» قال: الذين دلوك علي يا رسول اللّه هم الذين أمروني، قال: فجعل رسول اللّه ﷺ يمسح عن وجهه ويضحك، قال: ثم غرمها رسول اللّه ﷺ[٢].

---

(١) رواه أحمد: ح(٢٦٧٢٩) وضعفه الشيخ شعيب.

(٢) الإصابة لابن حجر (٣/ ٥٧٠).

*** عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :**

قال عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه : أتيت رسول اللَّه في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم، فسلمت، فرد، وقال: ادخل، فقلت: أكلي يا رسول اللَّه؟ فقال: كلك، فدخلت، قال الوليد بن عثمان بن أبي العالية: إنما قال: أدخل كلي، من صغر القبة[١].

*** عائشة رضي الله عنها :**

عن ابن أبي مليكة رضي الله عنه قال: مزحت عائشة رضي الله عنها عند رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم فقالت أمها: يا رسول اللَّه، بعض دعابات هذا الحي من كنانة، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : بل بعض مزحنا هذا الحي[٢].

*** أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه :**

عن أبي الهيثم عمن أخبره أنه سمع أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه مازح النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت ابنته أم حبيبة رضي الله عنها ويقول: واللَّه، إن هو إلا أن تركتك فتركتك العرب، إن انتطحت فيك، وقالوا: جماء ولا ذات قرن، ورسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يضحك ويقول: أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة[٣].

مزاح منضبط، وضحك متزن، ومرح مؤدب، بهذا أدب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أصحابه رضي الله عنهم .

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٤٦).

(٢) المعجم الكبير للطبراني(١٢/ ٢٦٦).

(٣) كنز العمال (٤/ ٤٩).

لما كان المزاح والابتسامة، والضحك غريزة لا يمكن كتمانها في الصدر، فقد كان الآل والأصحاب ﵃ يتعاملون معها باتزان دون إفراط، أو تفريط.

فإن هيبة قدرهم، وعلو شأنهم تجعلهم وإن تمازحوا فإن مزاحهم حق، لا يخرجون به عن حدود المروءة، والذوق العام.

ولو تتبعنا في سير الأعلام عبر التاريخ لوجدنا في سيرهم شيئاً كثيراً من ذلك، فالعبوس وعدم الابتسام ليسا من الإيمان في شيء، وقد مر في فاتحة هذا المبحث بعض من ابتسامات النبي ﷺ، ووصيته بهذا الخلق.

إنها دعوة لنا جميعاً لكسر الجمود مع الناس، ولنجعل من الابتسامة باباً نلج عبره إلى قلوبهم، ونكسب به مودتهم، فإنك لن تسع الناس بغضبٍ ولا شدة، ولا قسوة، وإنما تسعهم بسلامة صدر، وطلاقة بشر، وحسن منطق، والموفق من وفقه اللَّه.

❊ ❊ ❊

نساء الآل والأصحاب

لم تحظ المرأة بتكريم كالتكريم الذي حظيت به في الإسلام، فلقد كرم الإسلام المرأة أماً، وأختاً، وزوجةً، وبنتاً في وقت كانت تعد فيه بعض الاعتقادات المرأة روحاً نجسة، ويعتبرها بعض العرب من سقط المتاع.

روى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[(١)].

لقد أحاطت الشريعة المرأة بسياج عظيمة لتصونها صيانة بالغة، وتحول دون فقدانها جمال خلقتها، وروعة طبعها.

فمنع الشارع المرأة من الخلوة بالأجنبي، أو أن ينظر إليها نظر ريبة. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى

---

(١) رواه مسلم: ح(١٤٦٧).

ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

وقال النبي ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[٢]. ومنعها من السفر بلا محرم، لقول النبي ﷺ: «لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم»[٣]. وشرع لها صلاتها في بيتها، مع جواز صلاتها بالمسجد، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن»[٤].

وغير ذلك من مقررات الشريعة، وحكمها البالغة.

إن الشريعة منزلة من حكيم خبير، ولذا لم تكن في يوم من الأيام سيفاً مصلتاً على صانعات الأجيال، وبانيات المجد.

إن الشريعة جاءت لحماية المرأة وحفظها لتؤدي رسالتها على أكمل وجه، فالمرأة نصف المجتمع، وتلد للمجتمع النصف الآخر، فهي المجتمع كله.

والدعوى الباطلة، والمساعي العاطلة التي كان الغرب يخطط لها في وقت مضى لتغريب المرأة المسلمة باتت مكشوفة، قد كشف عوارها، وأظهر زيفها المرأة قبل الرجل بالتزامها شرع اللَّه تعالى، والابتعاد عن كل ما يفسد دينها، ويهلك قلبها، ويسلبها عفافها، ويصدها عن القيام بدورها.

ولذا استطاعت المرأة المسلمة اليوم أن تحقق لنا من الإنجازات العظيمة، والأعمال الكريمة مما كنا نسمع في أزمنة العز، وقرون الشرف.

---

(١) سورة النور الآية (٣٠-٣١).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك: ح(٣٩٠).
(٣) رواه البخاري: ح(١٧٦٣).
(٤) رواه أبو داود في سننه: ح(٥٦٧).

المرأة اليوم صارت عائشة زمانها في العلم، وحفظ القرآن والسنة.

المرأة اليوم صارت خديجة في نصرتها لدين اللَّه.

المرأة اليوم صارت حفصة في أخلاقها، وروعة أدبها.

المرأة اليوم صارت زينب بصدقها، وبرها.

المرأة اليوم صارت أم سلمة بعقلها وحصافتها، وحكمتها.

باختصار.... المرأة اليوم صارت أنشودة خالدة ترددها الألسنة يوم أن لبست أجمل حلل الشرف، والعز، والفخر، والاقتداء بأمهات الآل والأصحاب.

فلو كان النساء كما ذكرن لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال

*** قصة زواج الطاهرة خديجة بالصادق الأمين محمد ﷺ:**

روى عبد الرزاق عن معمر، عن الإمام ابن شهاب الزهري، أنه قال:... فلما استوى - أي رسول اللَّه ﷺ، وبلغ أشده، وليس له كثير مال، استأجرته خديجة بنت خويلد إلى سوق حباشة وهو سوق بتهامة، واستأجرت معه رجلًا آخر من قريش، فقال رسول اللَّه ﷺ وهو يحدث عنها: ما رأيت من صاحبة أجير خيراً من خديجة، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا»[١].

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف: (٥/ ٣١٤).

لقد لمست خديجة صدق محمد ﷺ وأمانته وكرم أخلاقه، فكانت تجزل له العطاء، ولما بلغ رسول اللّه خمساً وعشرين سنة، سافر بتجارة لها إلى الشام مع غلامها ميسرة، وفي الشام باع ﷺ سلعته واشترى ما أراد، وربح ضعف ما كانت تربح خديجة، وقفل راجعاً نحو البلد الأمين مكة، فأدى لها ما عليه في أمانة تامة، ونبل عظيم، وقد حفظ اللّه سبحانه رسوله ﷺ وأحاطه برعايته، حتى كانت هذه السفرة بما كان فيها من الخير والبركة، ذات أثر مبارك في حياة الرسول ﷺ.

وفي مكة انطلق ميسرة يحدث بما رأى من محمد ﷺ من كريم الخلق وحسن الصحبة وعظم الأمانة، بل حدث بما رآه من إرهاصات النبوة التي لمسها وعاينها، وما أكثر ما رأى في تلك الرحلة الجميلة من خصائص كثيرة.

أدلى ميسرة أيضا بشهادته الصادقة المباركة إلى خديجة، فسرت بأمانته وصدقه، وما نالها من بركة وربح بسببه ﷺ وكان اللّه سبحانه وتعالى قد كتب الكرامة وأراد بها الخير حيث ألقى في نفسها أمنية كريمة مباركة جعلتها سعيدة في الدارين. وكان السادات والرؤساء في مكة يحرصون على الزواج من خديجة فتأبى ذلك عليهم، وتردهم جميعاً، لكنها وجدت ما تنشده وما تبغيه في محمد ﷺ وهنا أفضت بما يدور في خلدها إلى صديقتها (نفيسة بنت منية) فذهبت نفيسة إلى رسول اللّه ﷺ وكلمته أن يتزوج خديجة وقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: «ما بيدي ما أتزوج به» قالت: فإن كفيت ودعيت إلى الجمال والمال

والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قالت: خديجة. قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: علي. قال: فأنا أفعل. ورجعت نفيسة إلى خديجة تحمل خبر نجاحها في مهمتها، وزفت إليها نبأ موافقة محمد ﷺ، فأرسلت خديجة إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها، فحضر، وجاء رسول اللَّه ﷺ إلى بيت خديجة في آل عبد المطلب وفي مقدمتهم عمه حمزة رضي الله عنه وعمه أبو طالب، وكان في استقبالهم عم خديجة، وابن عمها ورقة بن نوفل. ووافق عمها عمرو بن أسد، وتزوج النبي ﷺوأصدقها عشرين بكرة، ونحر وأطعم الناس، ولم يتزوج عليها حتى ماتت(١).

* قصة خديجة مع النبي ﷺ في نزول الوحي:

تبدأ قصة خديجة مع الجنة منذ إسلامها على يد زوجها محمد ﷺ فقد فازت فوزاً عظيماً بأن أصبحت أول مسلمة من النساء.

كان أول موقف يوضح نبل خديجة ووفاءها وحكمتها وحلمها وفصاحة عقلها يوم أن نزل الوحي على حبيب اللَّه ﷺ: ونترك الحديث للسيدة عائشة رضي الله عنها لتحدثنا بما حدث تقول: كان أول ما بدئ به رسول اللَّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها، فجاءه الحق وهو في غار حراء،

(١) راجع: البداية والنهاية: (٢/ ٢٩٤).

فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال ما أنا بقارئ قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني ثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني ثالثة، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[١]. حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٢]. فرجع بها رسول اللَّه ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رضي الله عنها، فقال: زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة مالي؟ فأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت على نفسي. فقالت له: كلا أبشر فو اللَّه لا يخزيك اللَّه أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن عم خديجة. وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب على الكتاب العبراني، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء اللَّه أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي.

فقالت له خديجة: أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة بن نوفل: يا ابن أخي ماذا ترى؟ وأخبره رسول اللَّه ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً يا ليتيني أكون حيا حين يخرجك قومك. قال: أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط

(١) سورة العلق الآية (١).
(٢) سورة العلق الآية (٥).

بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي[١].

* قصة أم عمارة ودفاعها بالسيف عن النبي ﷺ:

في غزوة أحد، خرجت أم عمارة وولداها عبد اللَّه وحبيب، وزوجها، واندفع زوجها وأولادها يجاهدون في سبيل اللَّه، بينما ذهبت أم عمارة تسقي العطشى وتضمد الجرحى، ولكن ظروف المعركة جعلتها تقبل على محاربة المشركين وتقف وقفة الأبطال تدافع عن رسول اللَّه ﷺ غير هيابة ولا وجلة، وذلك عندما تفرق الناس. وتصف لنا ذلك الموقف الرهيب في تلك الساعة العسيرة فتقول: رأيتني وانكشف الناس عن رسول اللَّه ﷺ، فما بقي إلا نفير ما يتمون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نذب عنه والناس يمرون منهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلًا مولياً ومعه ترس، فقال: ألق ترسك إلى من يقاتل فألقاه، فأخذته وجعلت أترس به عن رسول اللَّه ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، ولو كانوا رجالة مثلنا أصبناهم إن شاء اللَّه[٢].

* قصة أم سليم في تربية ولدها على الإسلام منذ الصغر:

أسلمت أم سليم ورسول اللَّه ﷺ بمكة وبايعته حين مقدمه المدينة، وكان إسلامها مراغمة لزوجها مالك بن النضر- والد أنس- الذي كان غائباً

---

(١) رواه البخاري: ح(٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٧٩)، وانظر: الطبقات الكبرى (٨/ ٤١٤).

وقتذاك، فقال لها: أصبوت؟! فقالت: ما صبوت ولكني آمنت. وجعلت تلقن أنساً - وكان صغيراً - وتقول له: قل لا إله إلا اللَّه، قل: أشهد أن محمداً رسول اللَّه، فجعل أنس ينطق بذلك، فكان هذا التصرف السليم من أم سليم يثير الغضب في نفس مالك فيقول لها: لا تفسدي علي ابني، فتقول: إني لا أفسده. ولما أيأسه أمرها، خرج عنها إلى الشام فلقيه عدو له فقتله، فلما بلغها قتله قالت: لا جرم لا أفطم أنساً حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس[(١)].

*** قصة زينب الثقفية في تصدقها بحليها على زوجها ومضاعفة الأجر لها:**

سمعت زينب النبي ﷺ يحض النساء على الصدقة والتقرب إلى اللَّه عز وجل، فأخذت حلياً لها لتتصدق به، فقال لها زوجها عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه: أين تذهبين بهذا الحلي؟ فقالت: أتقرب إلى اللَّه ورسوله. فقال: هلمي تصدقي به علي وعلى ولدي فأنا له موضع[(٢)].

وتذهب زينب إلى رسول اللَّه ﷺ لتسأله عن هذه الصدقة على زوجها وولدها فتقول: يا نبي اللَّه، إنك أمرت اليوم بالصدقة وكان عندي حلي، فأردت أن أتصدق به، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم، فقال النبي ﷺ: «صدق ابن مسعود، زوجك وولدك أحق من

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٠٥).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٦٩).

تصدقت به عليهم»[١].

وفي رواية أخرى فيها زيادة قال لها ﷺ: «لهما أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة[٢].

ورجعت زينب وقد قرت عينها بما أخبرها به النبي ﷺ عن مضاعفة اللَّه عز وجل لها الأجر في الإنفاق على زوجها وذويها.

*** قصة أسماء بنت يزيد مع النبي ﷺ في مشاركة النساء للرجال في الأجر والثواب:**

اشتهرت أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها بالفصاحة وفصل الخطاب، وأسماء هي رسول النساء إلى النبي ﷺ وكانت من ذوات العقل والدين، وكان يقال لها: خطيبة النساء، روى عنها أنها أتت النبي صلى اللَّه عليه و سلم و هو بين أصحابه فقال: بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك، وأعلم نفسي لك الفداء أما إنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي، إن اللَّه بعثك بالحق إلى الرجال والنساء فآمنا بك و بإلهك الذي أرسلك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج، بعد الحج

---

(١) رواه البخاري: ح(١٤٦٢).

(٢) رواه مسلم: ح(١٠٠٠).

وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل اللَّه، وإن الرجل منكم إذا أخرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم فما نشارككم في الأجر يا رسول اللَّه؟ قال: فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول اللَّه ما ظننا أن المرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي ﷺ إليها ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة و أعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته تعدل ذلك كله. قال: فأدبرت المرأة وهي تهلل و تكبر استبشاراً[١].

*** قصة عفراء مع النبي ﷺ في تمنيها الشهادة لأولادها:**

كان لعفراء بنت عبيد الأنصارية رضي الله عنها أبناء سبعة قد أبدعوا وأحسنوا في غزوة بدر، ومن الجدير بالذكر أن ثلاثة من أولاد عفراء قد حظوا بالشهادة في بدر وهم: عاقل، وعوف، ومعوذ رضي الله عنهم، وكان لعفراء رضي الله عنها موقف يثير الإعجاب، ويشير إلى إيمانها الوثيق، فقد ورد أنه لما استشهد ولداها عوف ومعوذ وعاقل وبقي معاذ، جاءت رسول اللَّه ﷺ يا رسول اللَّه، بقي شر ولدي.

أي لأنه لم ينل الشهادة في سبيل اللَّه فقال ﷺ: لا، وكأنها تريد أن ينال جميع أولادها شرف الاستشهاد في سبيل اللَّه - عز وجل - وبهذا نالت

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان: ح(٨٧٤٣). وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٦/٢٩).

عفراء شهادة زاكية من رسول اللَّه ﷺ، ونالت دعاء رسول اللَّه ﷺ عندما وقف على مصرع ابني عفراء فقال: يرحم اللَّه ابني عفراء، فهما شركاء في قتل فرعون هذه الأمة ورأس الكفر(١).

* قصة سمية وأسرتها في صبرهم وثباتهم على دين اللَّه عز وجل:

لا يعرف في تاريخ نساء المسلمين امرأة صبرت كسمية بنت خياط أم عمار رضي الله عنها، فقد جعلت الصبر شعاراً لها، ولا ريب أن الصابرين يوفون أجرهم بغير حساب، وتحملت أنواع العنت والإرهاق، بسبب إيمانها باللَّه العزيز الحميد، ولم تكن سمية في نقمة العذاب وحدها، بل إن أسرتها قد لقيت الأذى معها، ومزقت السياط أجسادهم. وإليك صورة من صور العذاب التي لاقاها هؤلاء البررة الأخيار، فقد ذكر ابن كثير نقلًا عن ابن إسحاق قال: كانت بنو مخزوم - يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وبأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة، يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول اللَّه ﷺ فيقول فيما بلغني: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»(٢).

- وفي رواية: أبشروا آل عمار و آل ياسر فإن موعدكم الجنة(٣). فأما أمه فيقتلوها إذ تأبى إلا الإسلام رضي اللَّه عنها وأرضاها.

وكان ياسر زوج سمية، قد استشهد هذا المؤمن تحت وطأة العذاب بأيدي

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٢ / ٩٧).
(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣ / ٥٦ - ٥٧).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ح(٤٦٦٦).

المشركين، أما سمية فقد أعطيت لأبي جهل الفاسق - أعطاها له عمه وكانت عجوزاً كبيرة، ولكنها تحملت ما لا يتحمله الأشداء، وأخذ أبو جهل - أخزاه اللَّه - يفرغ حقده في تعذيبها رجاء أن تفتن في دينها، ولكن أنى له ذلك؟!.

فقد ركنت سمية إلى الصمت ولم تجبه بحرفٍ واحد، وكان يقول لها: ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقتيه لجماله، ولما يئس الفاسق من ثباتها وأثاره صبرها طعنها بحربة في قبلها فماتت شهيدة، ورضيت بذلك أن تسلم روحها لخالقها من أجله، وفازت هي وأسرتها العظيمة ببشارة رسول اللَّه ﷺ حيث قال: «أبشروا آل عمار وآل ياسر فإن موعدكم الجنة»[(١)].

*** قصة زينب بنت جحش وكثرة تصدقها وطول يدها:**

لم تكن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها تحفل بالمال أو بشيء من زخرف الدنيا، بل كانت تعمل بيدها، فكانت تدبغ وتخرز وتبيع ما تصنعه، وتتصدق في سبيل اللَّه عز وجل. وكانت هي المقصودة بقول النبي ﷺ حينما قال لنسائه يوماً وهو جالس معهن: أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً[(٢)].

والمقصود أن أكثرهن صدقة سوف تلحق به بعد وفاته ﷺ، وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أكثر نساء النبي ﷺ تصدقاً من عمل يدها.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ح(٤٦٦٦).
(٢) أخرجه مسلم: ح(٢٤٥٢).

وظلت على هذا العمل حتى توفيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت أول نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لحوقاً به، ومما يؤثر في كثرة عطائها وتصدقها ما روته برزة بنت رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر إلى زينب بنت جحش بالذي لها، فلما دخل عليها قالت: غفر اللّه لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني، فقالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان اللّه، واستترت منه بثوب، قالت: صبوه وأطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت لي أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها، فقسمته حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر اللّه لك يا أم المؤمنين، واللّه لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلكم ما تحت الثوب. قالت: فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يديها إلى السماء فقالت: «اللّهم لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا فماتت»[١].

* قصة جويرية مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين تزوجها:

كانت جويرية بنت الحارث المصطلقية رضي الله عنها من فضليات الصحابيات في بيت النبوة، وكانت من أجمل النساء.

تقص علينا ذلك أعلم النساء عائشة رضي الله عنها، فتقول: لما قسم رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم سبايا بنى المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة

---

(١) الطبقات: (٣/ ٣٠).

حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول اللَّه ﷺ تستعينه في كتابتها قالت: - أي عائشة- فواللَّه ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت: يا رسول اللَّه أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: فهل لك في خيرٍ من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول اللَّه؟ قال: أقضي كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول اللَّه، قال: قد فعلت، قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول اللَّه ﷺتزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول اللَّه ﷺ، فأرسلوا ما بأيديهم. قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[١].

*** قصة أم حبيبة مع أبيها في طيها فراش النبي ﷺ لئلا يجلس عليه وهو مشرك:**

قدم أبو سفيان المدينة المنورة بعد أن نقضت قريش معاهدة الحديبية، بعد أن أغاروا على حلفاء المسلمين من بني خزاعة. وحين وصل أبو سفيان المدينة، وهو وقتها زعيم قريش فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فلما ذهب ليجلس على فراش رسول اللَّه

---

(١) رواه أحمد: ح(٢٦٤٠٨) وحسَّن الشيخ شعيب إسناده.

طوته، فقال: يا بنيه ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أو رغبت به عني. فقالت: هو فراش رسول اللَّه وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه، فقال: يا بنية، واللَّه لقد أصابك بعدي شر(١).

وهكذا لم يمنعها حياؤها من أبيها أن توجهه بإيمان وشجاعة إلى الحق واتباع دين الإسلام ولم يلبث إلا قليلًا حتى دخل في الإسلام في يوم فتح مكة وحسن إسلامه.

*** قصة أم أيمن وحزنها على وفاة رسول اللَّه ﷺ حين زارها أبو بكر وعمر:**

لما توفي رسول اللَّه، وقفت أم أيمن حاضنة رسول اللَّه ﷺ، والحزن يملأ قلبها، والدموع تفيض من عينيها، فجاشت عاطفتها البريئة، ورثته بقصيدة جميلة منها:

عين جودي فإن بذلك للد ... مع شفاء فأكثري من البكاء
حين قالوا الرسول أمسى ... فقيداً ميتاً كان ذاك كل البلاء
وابكيا خير من رزئناه في ... الدنيا ومن خصه بوحي السماء(٢)

وكان هذا البكاء حين زارها أبو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ.

روى مسلم في صحيحه بسنده أن أبا بكر قال لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن

---

(١) راجع: تاريخ الطبري: (٢/ ١٥٤) - البداية والنهاية: (٤/ ٢٨٠).
(٢) الطبقات الكبرى: (٢/ ٣٣٢).

نزورها كما كان رسول اللَّه ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت. قالا لها: ما يبكيك! ما عند اللَّه خير لرسول اللَّه ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند اللَّه خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها[١].

*** قصة أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها شهيدة البحر مع النبي ﷺ حين طلبت منه أن يدعو لها بالشهادة:**

إنها أخت أم سليم بنت ملحان رضي الله عنها فهي إحدى خالات الرسول اللَّه ﷺ من الرضاعة! كان يدخل عليها رسول اللَّه ﷺ فتطعمه، وكانت زوجة الصحابي عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك قال: دخل رسول اللَّه ﷺ على ابنة ملحان فاتكأ عندها ثم ضحك. فقالت: لم تضحك يا رسول اللَّه؟ فقال: أناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل اللَّه مثلهم مثل الملوك على الأسرة. فقالت: يا رسول اللَّه ادع اللَّه أن يجعلني منهم. قال: «اللَّهم اجعلها منهم». ثم عاد فضحك، فقالت له مثل، أو مم ذلك؟ فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع اللَّه أن يجعلني منهم. قال: أنت من الأولين ولست من الآخرين. قال: قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر مع بنت قرظة، فلما قفلت ركبت دابتها فوقصت بها فسقطت عنها فماتت[٢].

---

(١) رواه مسلم: ح(٢٤٥٤).

(٢) رواه البخاري: ح(٢٨٧٧).

* قصة أم الدحداح مع أبي الدحداح في إعانة زوجها في أعمال الخير:

كانت أم الدحداح وزوجها أبو الدحداح رضي الله عنهما ممن أشرقت نفسيهما بنور القرآن الكريم، وكان لأبي الدحداح أرض وفيرة في مائها، غَنيَّة في ثمرها، وكانت أم الدحداح رضي الله عنها معواناً لزوجها في أعمال الخير، فعندما نزل قول اللَّه عز وجل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[1] بادر أبو الدحداح إلى التصدق من غير طلب ابتغاءً لثواب اللَّه عز وجل، ومن ورائه زوجة تحصنه على ذلك طمعاً بما وعد اللَّه به عباده المؤمنين.

وكان ذلك عندما ذهب أبو الدحداح رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: فداك أبي وأمي يا رسول اللَّه، إن اللَّه يستقرضنا وهو غني عن القرض. قال: نعم، يريد أن يدخلكم الجنة به. قال: فإني إن أقرضت ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟. قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم. قال: فناولني يدك، فناوله رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يده، فقال: إن لي حديقتين، إحداهما بالسافلة، والأخرى بالعالية، واللَّه لا أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً للَّه تعالى.

فقال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: «اجعل إحداهما للّه، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك». قال: فأشهدك يا رسول اللَّه أني جعلت خيرهما للَّه تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال: «إذا يجزيك اللَّه به الجنة». فانطلق

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٤٥) سورة الحديد الآية (٥٧).

أبو الدحداح حتى جاءت أم الدحداح، وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل، فأنشأ يقول:

هداك ربي سبل الرشاد إلى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد فقد مضى قرضا إلى التناد
أقرضته اللَّه على اعتمادي بالطوع لا منٌ ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في المعاد فارتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد قدَّمه المرء إلى المعاد

فقالت أم الدحداح: ربح بيعك! بارك اللَّه لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك اللَّه بخيرٍ وفرح مثلك أدى ما لديه ونصح
قد متع اللَّه عيالي ومنح بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله ما قد كدح طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما في أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر. فقال النبي ﷺ: «كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح»[1].

*** فاطمة وقصة خطبتها من علي بن أبي طالب:**

اعلمي أختي الكريمة أن لخطبة فاطمة رضي الله عنها قصة مباركة، ولنترك الخاطب نفسه علياً يحدثنا عن خطوات هذا الحدث المبارك قال: لقد

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٤ / ٦١). والقرطبي في تفسيره (٣/ ٢٣٨).

خُطِبَتْ فاطمة من رسول اللَّه ﷺ؟ فقالت: مولاة لي: هل علمت أن فاطمة خطبت من رسول اللَّه ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول اللَّه ﷺ فيزوجك بها؟ فقلت: أو عندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول اللَّه ﷺ زوجك. قال: فو اللَّه ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول اللَّه ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أفحمت فواللَّه ما أستطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال رسول اللَّه ﷺ: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ قال علي رضي الله عنه: فسكتُّ. فقال ﷺ لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقلت: نعم. فقال: وهل عندك من شيء تستحلها به؟ فقلت: لا، واللَّه يا رسول اللَّه. فقال: فما فعلت بالدرع التي كنت سلحتكها؟ فقلت: عندي فوالذي نفس علي بيده إنها لحطيمة ما ثمنها أربعة دراهم. فقال ﷺ: قد زوجتكها، فابعث إليها بها فاستحلها بها قال: فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول اللَّه ﷺ[1].

* قصة فاطمة مع علي وإنفاقهم على الفقراء والمساكين:

بلغت فاطمة بنت الرسول ﷺ في الفضل والزهد والإنفاق مكانة لم تسبق إليها في نساء عصرها، فكانت تعطف على المساكين على حساب نفسها، كيف لا وأبوها محمد ﷺ، كيف لا وزوجها علي رضي الله عنه، كيف لا وابناها الحسن والحسين رضي الله عنهما، وهذا الذي حدث مع زوجها علي

(١) البداية والنهاية (٣/٣٤٦). وانظر: دلائل النبوة للبيهقي برقم (٣ / ١٦٠). والسنن الكبرى: ح(١٤٧٤٠).

والسائل، فتروي ذلك عائشة أم المؤمنين فتقول:

وقف سائل على أمير المؤمنين علي فقال للحسن أو للحسين: اذهب إلى أمك فقل لها: تركت عندك ستة دراهم فهات منها درهماً.

فذهب ثم رجع فقال: قالت: إنما تركت ستة دراهم للدقيق. فقال علي: لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد اللَّه أوثق منه بما في يده. قل لها ابعثي بالستة دراهم، فبعثت بها إليه فدفعها إلى السائل. قال: فما حل حبوته حتى مرَّ به رجل معه جمل يبيعه، فقال علي: بكم الجمل؟ قال: بمئة وأربعين درهما. فقال: علي: اعقله على أن نؤخرك بثمنه شيئاً، فعقله الرجل ومضى، ثم أقبل رجل فقال: لمن هذا البعير؟ فقال: علي: لي فقال: أتبيعه؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال: بمئتي درهم. قال: قد ابتعته، قال: فأخذ البعير وأعطاه المئتين. فأعطى الرجل الذي أراد أن يؤخره مئة وأربعين درهماً وجاء بستين درهماً إلى فاطمة رضي الله عنها. فقالت: ما هذا؟ قال: هذا ما وعدنا اللَّه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[(١)][(٢)].

*** قصة فاطمة مع علي والعلاج النبوي:**

لم يعرف التاريخ امرأة جمعت من الصبر والتقى كفاطمة الزهراء ابنة

(١) سورة الأنعام الآية (١٦٠).

(٢) كنز العمال: ح(١٦٩٧٦).

رسول اللّه ﷺ، فمنذ الأيام الأولى من زواجها بدأت تمارس أعمال البيت المرهقة وقتذاك، ولم يستطع زوجها الزاهد المجاهد أن يستأجر لها من يعينها في أعمال البيت.

قال ابن سعد في الطبقات: «أخبرنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا عطاء بن السائب عن أبيه عن علي أن رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معها بخملة ووسادة أدم حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين. قال: فقال علي لفاطمة ذات يوم: واللّه لقد سنوت حتى قد اشتكيت صدري وقد جاء اللّه أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه. فقالت: وأنا واللّه قد طحنت حتى مجلت يداي. فأتت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك يا بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك. واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحيت أن أسأله. فأتياه جميعاً فقال علي: واللّه يا رسول اللّه لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي وقد أتى اللّه بسبي وسعة فاخدمنا. قال: واللّه لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكني أبيعهم أنفق عليهم أثمانهم. فرجعا فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما فثارا فقال: مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فقالا: بلى. فقال: كلمات علمنيهن جبريل تسبحان في دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشراً وتكبران عشراً وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين. قال: فواللّه ما تركتهن

منذ علمنيهن رسول اللَّه، فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم اللَّه يا أهل العراق، ولا ليلة صفين»[١].

*** قصة الخنساء مع أولادها الأربع في ترغيبهم في الجهاد في سبيل اللَّه:**

قدمت الخنساء بنت عمرو بن الرشيد على رسول اللَّه ﷺ مع قومها وأسلمت معهم، وآمنت به، وصدقت برسالته، وغيَّرها الدين الحنيف تغييراً كاملًا. وقد سجل لها التاريخ موقفاً عظيماً خالداً.

تقف الخنساء في سهل القادسية الفسيح، وسط أبناء أربعة، فتقول لهم وسط هدأة الليل: يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وواللَّه الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد، كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد اللَّه للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول اللَّه عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإذا أصبحتم غداً إن شاء اللَّه سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وباللَّه على أعدائه مستنصرين، وإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وحللت ناراً على أوراقها. فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى (٨/ ٢٥). وأصله في البخاري: ح(٣٥٠٢).

والكرامة، في دار الخلد والمقامة[١].

فتقدم أولادها الأربعة إلى أوائل الصفوف لمقاتلة الفرس، واحتدم القتال فامتحقوه وهم يرتجزون الشعر.

فتقدم أولهم ليلقى الشهادة وهو يقول:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
بمقالة ذات بيان واضحة وإنما تلقون عند الصائحة
من آل ساسان كلاباً نابحة

وأنشد الثاني:

إن العجوز ذات حزم وجلد قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبراً بالولد فباكروا الحرب حماة في العدد

وأنشد الثالث:

واللَّه لا نعصي العجوز حرفاً نصحاً وبراً صادقاً ولطفاً
فبادروا الحرب الضروس زحفاً حتى تلفوا آل كسرى لفا

وأنشد الرابع:

لست لخنساء ولا للأخزم ولا لعمر ذي السناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ماض على الهوى خضم حضرمي

تقدم الأربعة واحداً تلو الآخر، يبذلون دماءهم زكية على أرض القادسية،

(١) صفة الصفوة: (٢/ ٣١).

لترفرف أرواحهم مع الشهداء. وترى ما هو موقفك يا خنساء؟

لقد بلغها النبأ والخبر، فقالت: الحمد للَّه الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[١].

إنه الشرف والفخر والعظمة الذي حظيت به الخنساء، امرأة دخلت مدرسة الإسلام، فتعلمت فيها كيف تبذل وتضحي في سبيله بكل شيء حتى بأولادها، فهل تعلمتم يا نساء المسلمين اليوم؟! هل تعلمتم منها التضحية والفداء!؟

*** قصة عائشة مع حفصة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

كانت عائشة رضي الله عنها قوية في دين اللَّه عز وجل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتغضب من أجل اللَّه - عز وجل - تخبرنا عن ذلك أم علقمة بنت أبي علقمة:

رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر دخلت على عائشة وعليها خمار رقيق يشف عن جيبها، فشقته عائشة عليها، وقالت: أما تعلمين ما أنزل اللَّه في سورة النور؟ «ثم دعت بخمار فكستها»[٢].

*** عائشة وقصة زهدها وكرمها:**

كانت رضي الله عنها مضرب المثل في الزهد، كما ضرب المثل في جودها وزهدها، فلا يكاد المال يثبت بيدها لحظات إلا يكون من نصيب

(١) انظر: الاصابة: (٨/ ١١١).
(٢) الطبقات: (٨/ ٧٢).

الفقراء، وبلغ من كرمها أن وزعت مئة ألف درهم في يوم واحد وهي صائمة، ولم تترك درهماً واحداً حتى قالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدرهم لحماً، فقالت: لو قلت قبل أن أفرقها لفعلت(١).

أو ليست وهي الصديقة ابنة الصديق الكريمة ابنة الكريم الذي أنفق ماله كله في سبيل اللّه لمرضاة اللّه؟

وذكر عروة بن الزبير عن كرمها وسخائها وزهدها فقال: لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهي ترقع درعها(٢).

أتعرفين أختي الكريمة السبب الذي جعلها بهذه الصفات لأنها عرفت حقيقة المعرفة أن الدنيا ظل زائل. كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: إخواني، الدنيا ظل زائل، وحال حائل، وركن مائل، وسم قاتل، ورفيق خاذل، ومسؤول باخل، كم تعد الدنيا وكم تماطل! كل وعدها غرور وباطل، تاللّه ما فرح بالدنيا عاقل.

* **عائشة وقصة ورعها وكثرة عبادتها:**

كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تكثر من الصلاة وبخاصة صلاة الليل متأسية بالنبي ﷺ، وأما صومها فكانت تصوم الدهر كما ذكر ذلك ابن الجوزي(٣). وصيامها الدهر: كناية عن كثرة صيامها.

---

(١) حلية الأولياء: (٢/ ٤٧).
(٢) مصنف أبي شيبة: (٨/ ٩٢).
(٣) صفة الصفوة: (٢/ ٣١).

وأما الورع فقد احتلت فيه مكاناً علياً، واتصفت فيه بجميع أعمالها، ومن ورعها الفقهي احتجابها عن الأعمى، فقد ذكر إسحاق الأعمى قال: دخلت على عائشة فاحتجبت مني، فقلت: تحتجبين مني ولست أراك؟ قالت: إن لم تكن تراني فإني أراك[١]

اللَّه أكبر أختي الكريمة ما أعظم هذه المراقبة أو الإحسان، كيف بالتي تكشف حجابها أمام المبصرين، اللَّهم ارزقنا وجميع المسلمين حقيقة هذه المراقبة.

*** قصة تبشير حفصة بنت عمر بالجنة:**

كانت حفصة هي واحدة من النساء اللاتي عرفن معاني العبادة الحقيقية، فكانت موصولة القلب باللَّه دائماً، كثيرة الذكر له سبحانه وتعالى، فاستقرت أسباب الرضا في نفسها، وعزفت عن حطام الدنيا لعلمها أن السعادة في الدارين إنما هي لأهل الإيمان، وبخاصة أهل الطاعة والاستقامة، وبعد ذلك اجتمعت في أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صفات جعلتها من أهل الجنة، فنالت البشارة بها، وذلك بوحيٍ من اللَّه إلى نبيه: «راجع حفصة فإنها صوَّامة قوَّامة، وإنها زوجتك في الجنة»[٢].

*** أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :**

قال البلاذري في «أنساب الأشراف» في ترجمة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي

---

(١) الطبقات الكبرى: (٨/ ٦٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ح(٩٣٤). والحاكم في المستدرك: ح(٦٧٥٤).

معيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

فأما أم كلثوم فكان رسول اللَّه ﷺ يخرجها معه في المغازي، فتداوي الجرحى، ويضرب لها سهماً، وخطبها النبي ﷺ إلى عثمان على زيد بن حارثة مولاه، فتكره ذلك عثمان وأباها، فأخبرها فقالت: لو أمرني رسول اللَّه ﷺ أن أتزوج زنجياً عظيم المشافر محدد الأسنان لفعلت. فتزوجها زيد، فقتل عنها، فتزوجها الزبير بن العوام ثم طلقها، فتزوجها عبد الرحمن بن عوف الزهري، فهلك عنها، فتزوجها عمرو بن العاص وكانت معه بمصر عدة أشهر وماتت عنده، رضي اللَّه عنهم أجمعين[١].

هنا حططنا عصا الترحال عند شقائق الرجال، ومربيات الأجيال، هنا أطربنا قلوبنا بسير أمهاتنا من صالحات الأمة من نساء الآل والأصحاب.

أحببت أن أفرد للنساء مبحثاً خاصاً بهن لإظهار فضلهن، وحسن فعالهن بمواقف مجموعة، وقصص مصفوفة، وإلّا فإن كل مبحث مما ذكر لا يخلو من امرأة شاركت الرجل في فضله، ونافسته في خيره.

إن هذه المواقف للنساء الفضليات تحتاجها أمهاتنا، وأخواتنا، وبناتنا في زمن صار فيه بعض بنات قومنا يبحثن عن قدوات غيرهن.

إن كل موقف من هذه المواقف يعد مدرسة في الدين، والخلق، والفضل، ويحتاج إلى من يسبر أغواره، ويستخرج مكنونه.

---

(١) أنساب الأشراف (٩ / ٣٤٣).

إنني على يقين تام أن هذه المواقف المضيئة وغيرها لم تخف على قطاعٍ كبيرٍ من نساء جيلنا، ودليل ذلك ما نراه من صلاحٍ شاع بين نساء الأمة، وتنافس في الخير في أعمال فردية ومؤسسية.

لقد غدت المرأة المسلمة اليوم صورة فريدة من نوعها في تاريخ هذه الأمة، وليس هذا أمراً مبالغاً فيه، ويكفي أن نطلع على أعمالهن الجليلة، وإنجازاتهن النبيلة لنعرف ما سطرن من مواقف سيسطرها التاريخ في صفحاته البيضاء بأحرف من ذهب.

نسأل اللَّه أن يبارك في نساء الأمة، وأن يصرف عنهن كل شر. اللَّهم آمين.

* * *

الخاتمة

وبعد:

فقد قدمنا لك أخي القارئ الكريم صوراً من روائع الآل والأصحاب جمعناها لك بعناية، ووضعناها لكي تخدم غاية، ألا وهي إحياء جانب القدرة والأسوة بهؤلاء العظماء، في استقراء سيرتهم وبيان مواطن العزة في حياتهم - وكلها عزة، لتجيبهم أكثر إلى قلوب المسلمين، بجانب إشاعة روح التأسي السابق ذكرها.

وهذا غيض من فيض وقليل من كثير ونرجو أن نكون قد وفقنا في العرض ونجحنا في البيان، وقدمنا صورة مشرقة لهؤلاء الكرام.

هذا ونسأل اللَّه التوفيق ونستمد منه العون فهو نعم المعين وخير الرازقين.

❊ ❊ ❊

المراجع

١- الآداب الشرعية: لابن مفلح، تحقيق شعيب الأرنؤوط- عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢- الاستيعاب: لابن عبد البر، تحقيق محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

٣- أُسد الغابة: لابن الأثير، تحقيق محمد أحمد عاشور، مطبوعات الشعب، القاهرة سنة ١٩٧٠م.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة: للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٠هـ.

٥- إغاثة اللَّهفان من مصائد الشيطان: للإمام ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

٦- البداية والنهاية: للإمام ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، د.ت.

٧- تاريخ الإسلام: للإمام أبي عبد اللَّه محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨- تاريخ الطبري: للإمام محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.

٩- تاريخ دمشق: للحافظ ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٠- التبيان في آداب حملة القرآن: للإمام النووي، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، ط١، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١١- تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، سنة ١٤٢٠هـ-.١٩٩٩

١٢- تنقيح تحقيق أحاديث التعليق: الشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٩٩٨م.

١٣- التواضع والخمول: لابن أبي الدنيا عبد اللَّه بن محمد القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٤- تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن: لعبد الرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلى اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، سنة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٥- الجامع الصحيح المختصر: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٦- الجامع الصحيح: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، د.ت.

١٧- جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد اللَّه النمري القرطبي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم، ط١، سنة ١٤٢٤ - ٢٠٠٣هـ.

١٨- الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٩- جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام: للإمام ابن القيم، دار ابن كثير، ط١، سنة ١٤٠٨هـ-.١٩٨٨

٢٠- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للإمام أبي نعيم الأصفهاني: دار الجيل، بيروت، ط١،د.ت.

٢١- حياة الصحابة: للكاندهلوي، تحقيق عبد الباري طاهر وأحمد عبد الفتاح تمام، دار السلام، القاهرة، سنة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٢- دلائل النبوة: للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٣- الرسالة القشيرية: للقشيري، تحقيق عبد الحليم محمود -محمود الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، سنة ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.

٢٤- روضة العقلاء: لابن حبان، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة النسة المحمدية، القاهرة، د.ت.

٢٥- الزهد: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الريان للتراث، القاهرة، سنة ١٤٠٨هـ.

٢٦- سنن ابن ماجه: للإمام أبي عبد اللَّه محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٢٧- سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٢٨- سنن الترمذي «الجامع الصحيح»: للإمام محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢٩- سنن الدارمي: للإمام عبد اللَّه الدرامي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.

٣٠- السنن الكبرى: للإمام أبي بكر أحمد بن علي البيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١، سنة ١٣٤٤هـ.

٣١- سنن النسائي: للإمام أحمد بن شعيب النسائي، طبع مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣٢- سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٣- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح: إبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي، مكتبة الرشد الرياض، السعودية، ط١، سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٤- شرح مسلم: لمحيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، سنة ١٣٩٢هـ.

٣٥- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، سنة ١٤١٠هـ.

٣٦- صحيح ابن حبان: للإمام محمد بن حبان البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٧- صفة الصفوة: لابن الجوزي، تحقيق محمود فاخوري- ود. محمود رواس قلعه جي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٨- صلاح الأمة في علو الهمة: لسيد عفاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ-.١٩٩٧

٣٩- الطبقات الكبرى: لابن سعد، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، سنة ١٩٦٨م.

٤٠- طبقات خليفة: خليفة بن خياط العصفري، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٣٧٩هـ..

٤٢- فتوح الشام: للأزدي، تحقيق عبد المنعم عبد اللَّه عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، سنة ١٩٧٠م.

٤٣- في ظلال القرآن: لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٧، سنة ١٣٨٩هـ-١٩٧٨م.

٤٤- فيض الخاطر: لأحمد أمين، دار الثقافة، مصر، سنة ١٩٣٩م.

٤٥- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.

٤٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤١٢هـ.

٤٧- مجموع الفتاوي: للإمام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٨- المستدرك على الصحيحين: للإمام محمد بن محمد الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ.

٤٩- مسند البزار: للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو البزار، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، د.ت.

٥٠- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق: لابن النحاس، مطبعة بولاق، القاهرة، سنة ١٢٤٢هـ.

٥١- المصنَّف: للإمام أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٣هـ.

٥٢- المصَّنف: للإمام عبد اللَّه بن محمد بن أبي شيبة: مكتبة الرشد، الرياض، ط١ سنة ١٤٠٩هـ.

٥٣- المعجم الأوسط: للإمام الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، سنة ١٤١٥هـ.

٥٤- المعجم الكبير: للإمام الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

٥٥- معرفة الصحابة: للإمام أبي نعيم الأصبهاني، دار الوطن، الرياض، ط١، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٥٦- مفتاح دار السعادة: للإمام ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٥٧- النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي- ومحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.